المشرق

مقالة

في صلب السيد المسيح

للشيخ ابي نصر يحيى بن جرير التكريتي

توطئة

من جملة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة التي وصفناها سابقاً في المشرق سنة ١٩٠٦ (٩: ٦٤٧–٦٤٨) كتاب نصرانيّ ليس يدعى كتاب المرشد منقول سنة ١٨٩٠ عن نسخة خطيّة قديمة في مكتبة دير السيّدة في الشرفة. وهذا الكتاب لاحد قدماء الكتبة الباقية اسمهُ الشيخ ابو نصر يحيى بن جرير التكريتيّ وهو كاتب جليل لا نعرف من امرهِ الّا الزهيد القليل. فمن ذلك أنهُ يُدعى في صدر الكتاب تلميذًا لكاتبين بارعين من اهل ملّتهِ ازهرا في اوائل القرن الحادي عشر للمسيح وهما الشيخ يحيى بن زرعة والشيخ يحيى بن عديّ البغداديّ وكلاهما من افضل فلاسفة عصرهم نقلا شيئاً كثيراً من كتب اليونان الى العربيّة وترجمهما ابن ابي اصيبعة في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطبّاء (ج ١ ص ٢٢٥). وقد ذكر ابن ابي اصيبعة تلميذهما يحيى التكريتيّ هذا بعد ذكر اخيهِ الفضل. قال في الفضل (ج ١ ص ٢٤٣): «الفضل بن جرير التكريتي. كان كثير الاطلاع في العلوم فاضل في صناعة الطبّ حسن العلاج وخدم بصناعة الطبّ الامير نصير الدولة بن مروان. وللفضل بن جرير التكريتيّ من الكتب مقالة في اسماء الامراض واشتقاقاتها كتبها الى بعض اخوانهِ وهو يوحنّا بن عبد المسيح». ثمّ اردف في ذكر صاحبنا فقال: «ابو نصر يحيى بن جرير التكريتي كان كاخيهِ في العلم والفضل والتبحّر في صناعة الطبّ وكان موجودًا في سنة ٤٧٢ (١٠٧٩ م) وليحيى بن جرير التكريتي من الكتب كتاب الاختيارات في علم النجوم وكتاب في الباه ومنافع الجماع ومضارّه رسالة كتبها لكافي الكُفاة ابي نصر محمّد بن محمّد بن جهير. (وكتاب) في

منافع الرياضة وجهة استعمالها » . فيؤخذ من هذا الكلام انّ ابا نصر صاحب المرشد الشهير في اواخر القرن الحادي عشر وبرع كاخيهِ الفضل في الطبّ وفاق عليهِ في علم النجوم . والظاهر انّ شقيقهُ الفضل كتب ايضاً في الديانات فانّ ابا نصر ذكر لهُ في الباب الخمسين من كتابهِ المرشد تأليفاً دينيًّا وصفهُ بما يلي : « وكان اخي ابو سعد الفضل بن جرير نوّر الله ضريحهُ عمل كتاباً حسنًا كاملاً في القرابين وشرح فيهِ حال القرابين على سائر المذاهب فأوضح فيهِ معاني كانت مستورة ملغوزة وانا اختصرتُ من كلامهِ في هذا الباب ما اثبتُهُ كافياً بحسب غرضي » . وكلّ تآليف الاخوين قد فُقدت الّا كتاب المرشد الذي نحن في صددهِ . وقد لقينا منهُ نسخة غير تسخة الشرفة في ماردين في مكتبة المرحوم السيّد ايليّا ميلوس . وفي اوربّا منهُ نسختان الاولى في المكتبة الڤاتيكانيّة غير كاملة وصفها العلّامة السمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة (ج ٣ ص ٦٠٩) ودعا كاتبهُ يحيى بن جرير بالماء المنهلة وسمّى الكتاب « تشييد قواعد الشريعة المسيحيّة والقوانين السلسيّة كما تقتضيهِ الملّة اليعقوبية وهو اربعون باباً » ولعلّ المؤلف بعد ذلك نظر في كتابهُ ووسّعهُ وعمّمهُ لمنفعة جميع اهل الشرق لانّ النسخة التي في يدنا تبلغ ٥٦ باباً . ومثلها النسخة الثانية في مكتبة اوكسفرد الموسومة بعدد ٣٠١ (Al. Nicoll: *Bibl.* *Bodleianæ Cod. Arabici* p. 23) فانها كاملة وقسمها الاكبر قديم في اوّلها وآخرها قطعٌ بخطّ اقرب الى عهدنا كتبهُ راهب يدعى جنام سنة ١٨٨٦ للوتان الموافقة لسنة ١٥٧٢ للمسيح . واسم الكتاب هناك « كتاب المصباح المرشد الى الفلاح الهادي من التيه الى سبيل النجاة » والمؤلف دُعي ايضاً يحيى بن جرير بالماء . وفي مقدّمات كتاب مصباح الظلمة لابي البركات ابن كبر (ص ٣٤٩) من نسختنا دعاهُ ابن جريز بالزاي . وكتابهُ المرشد او المصباح المرشد الى الفلاح من امتع الكتب النصرانية القديمة اذ جمع فيهِ مؤلفهُ الفاضل كثيرًا من معتقدات النصارى في التوحيد والتثليث وفي حياة المسيح واسراره وشريعتهِ وعادات نصارى زمانهِ . ومن هذا الكتاب لم يطبع الّا باب واحد وهو الحادي والثلاثون عنوانهُ : « في الكهنوت » نشرهُ العلّامة الانكليزي كورتن (W. Cureton) سنة ١٨٦٥ ونبذة من الفصل الثلاثين في القيامة وتحقيق امرها اقتطفها بروكلمن الشهير في ملحوظاتهِ على ابن سباع وطبعهُ في اوكسفرد سنة ١٦٥٥

فرأينا بنسبة الاعياد الفصحيّة ان ننقل لقرّائنا باباً من هذا الكتاب تتويجاً بقدرهِ وهو الباب الثاني والعشرون (ص ٢٤٨-٢٦٣) على صلب السيّد المسيح اثبت فيهِ المؤلف حقيقة الصلب مبيّنًا ان هذه القضيّة لا تبخس من قدر المخلّص كما زعم مانى المبتدع الفارسي بل هي تؤول الى مجدهِ وشرف ديانتهِ ومن ثمّ لا صحّة لقولهِ ولرأي من يزعم مثلهُ انّ الله ابدل المسيح على الصليب بشخص آخر يشبههُ

(p. 248) في وجوب صَلْب المسيح

والردّ على مانى القائل بانهُ لم يُصلَب لانّهُ اكرمُ عند الله واجلّ منزلةً من ان يكون اليهود يفعلون بهِ ذلك وانّما خُيّل اليهم ذلك

(قال) ينبغي لنا ان نقرّر اصل ما تقرّ بهِ الشرائع الالهيّة ونحلل (ونحلّ ؟)

امر (249) الصَّلب الذي جرى على المسيح ثمَّ نُتبع ذلك بدلائل تختصّ بدين النصارى خاصَّةً

يوجب ما جرى من الصلب في الاصل الاوَّل انَّ تدابير الله تعالى وموجبات حكمته بعضها عرفها الحكماء والاصفياء والانبياء وبعضها عجزوا عن معرفتها فسلَّموها الى الحكمة الالهيَّة كقول بولس الرسول (١ كور ١ : ٢٥) : انَّ الامر المُستَنكَف من فعل الله احكمُ واحسنُ واشرفُ قدرًا واجلُّ من حكمة الناس (١ ٠. يريد بذلك انَّ الجَهَلة الذين لا يفهمون الاسرار الالهيَّة ينسبون بعض اعمال الله الى السَّفَه والاهمال والعَبث تعالت الحكمة الالهيَّة عن هذا

يقولون من ذلك : ما الفائدة كانت في خَلق العالم ثمَّ في نقضه وفساده ؟ ولِمَ خُلق في الوقت الذي خُلق فيه ولم يكن ذلك من قبل او من بعد ؟ ثمَّ لِمَ خلقَ الله ما خلق على تدريج واكملَ خلقهُ في ستَّة ايَّام ؟ وما الفائدة (250) كانت في خَلق الشجرة ومَنع آدم منها فانها لو لم تُخلَق لم يطمع آدم في الدنوّ منها ؟ ولِمَ مُنع منها ؟ . واشباه هذه الاشياء التي تتحيَّر فيها الجَهَلة وكشف الله تعالى السرّ فيها للحكماء

ومع هذا يقولون : هبْ انَّ آدم خالفَ فما الواجب لسَرَيان الخطيَّة الى اولاده ؟ ولِمَ لا يُهلك الله الكفَّار والعُصاة ؟ وهذا بعد ان قالوا : لِمَ خلقهم الله مستطيعين . ويقولون : لِمَ يُبسط الله الغَيثَ على الابرار والاشرار ؟ ولِمَ يُطلع شمسهُ على الاخيار والاشرار ؟ ولِمَ يُدِرّ رزقهُ عليهم حتى انَّ الجهلة والاشرار احسن من غيرهم ؟ ولِمَ يُسلِّط الاشرار على الاخيار ؟ وما الفائدة في خَلق السباع الآكلة والحيَّات الخاطفة والحشرات المفسدة ؟ لجهلهم الحكمة الموجبة خلقها . واشباه هذه الاشياء التي لو عددتُها لصارت تذكارًا لهم وزيادة في كفرهم

وكذلك يقولون : لِمَ خلقَ الله الشيطان ولمَّا خلقهُ كفرَ به وخالفهُ ؟ ولِمَ لا ابادهُ واهلكهُ بل سلَّطهُ على الناس حتى اغرى اليهودَ بجحود مسيحه ؟ ولِمَ مكَّن اليهود من مسيحه اذ هو اكرمُ عنده من أن يمكّن منهُ اعداءهُ ؟ هذا من بعد ان سلَّموا

---

١) قد رويتا ترجمة هذه الآيات كما رواها المؤلف على لفظها القديم

الينا بان المسيح ولد من عذراء من غير ان تُنقَض العذرة وانهُ وُلد من غير أب. واشباهُ (2:1) ذلك من الاشياء التي ظهرت بالحكمة فجهلوا اسبابها

وهكذا جرى الامر في الاقرار بصلب المسيح فانهم انكروهُ وانكارهم لهُ في ظاهر الامر يوجب احد أمرَين او هما جميعاً. احدهما ادخال الضعف على الله (تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا) اذ ارتكب اليهود من مسيحه ما ارتكبوا لضعفه وعجزه عن خلاصه. او انهُ كان قادرًا على خلاصهِ ولم يخلّصهُ ولم يدفع عنهُ لهوانهِ عندهُ. وهؤلاء لم يفهموا ما جاءت بهِ الانبياء من العلامات والآيات التي ذكروها مما يدلّ على صلب المسيح فمنهم من صرّح بذلك مثل دانيال النبيّ (٩:٢٦) ومنهم من رمز ولغز وكشفتْ عنهُ وصحّحتهُ حسب ما فهمتهُ من التفاسير الكاشفة عن حقائقه. هذا مع اتّفاق النصارى واليهود على ذلك. فالنصارى تقول انّ المسيح لهذا ظهر وانهُ بارادتهِ التي هي ارادة الله صُلب. واليهود تقول انهُ ظهر شخص من الاشخاص فافترى على الله وقال: «انني ابنُ الله» فقتلناهُ صلباً على ما امرنا موسى حيث قال (تث ٢١:٢٣): «انّ من افترى على الله يجب ان يُصلب ويُرفع على خشبة» كأنهُ يُرفع الى الذي افترى عليه. واذا شهد المخالفون والموافقون على شيء واحد زال المِرا فيه (2:3) والشكّ في معناه

ثمّ مع هذا اي شيء في الصلب (لو لم يكن لهُ حقيقة) من العزّ والفخر حتى يُنسب الى المسيح وهو لم يُصلَب؟. ومعلوم انّ في ظاهر امره من الذلّ والشناعة ما يجب ان تخفيهُ النصارى اجلالاً للمسيح فأمّا وهم يصحّحونهُ ويفتخرون به ويقولون انهُ هذا خُلق وظهر وبه كان الخلاص وبه زال حافظ الفردوس عن حفظه وانفتح الفردوس وامكن ان يدخلهُ المستحقّون وقد كان قبل ذلك لا يمكن لاحد الدخول اليه فقد زالت التهمة

وايضاً الامم المختلفة قد كان اشخاص منها حاضرين في بيت المقدس شاهدوهُ مصلوباً. ثم ليس بمنكر ان يُظهر الله العزّ بعد الذلّ والقوّة بعد الضعف كما جرى الامر في موسى وفرعون. فان موسى كان راعياً ذليلاً فقهر فرعون وهو ملك قويّ وجرى في التدبير بينهما ما يحمل الجهلة على ان يستقبحونهُ وينكرون صحّتهُ

ودَعْ هذه الاشياء وخذ في ان تُعدّ لنا جواباً عمّا نسألكَ أيها الحكيم ماني. أترى

ان الله لما خلق الناس مع باقي الحيوانات وأدرّ لهم الارزاق وقوّاهم على السعي في مصالحهم ثمّ اماتهم أفعلَ ذلك (253) لعجزهِ عن تركهم احياء ام يوجد معهُ تعالى ضدٌّ موكل بإفساد ما أصلح. خبّرنا عن هذا

ثمّ ان كان الموت بقضاء الله وارادته فكيف ساوى فيه بين ابرهيم والنمرود وبين موسى وفرعون؟ فهل هذا الظاهر لضدٍّ معهُ وشريك لهُ كما تقول المجوس؟ او لضعفه وعجزهِ كما يقول الجَهَلة والكفرة؟. لانهُ خلق الناس مختارين بإجماع ثمّ قدّرهم على مخالفة امرهِ وعاقبهم على ذلك. والّا تعجبتُ من إرسال الله تعالى موسى الى فرعون وهو الملك الجبّار بمصر القادر النافذ الامر في اقاليم كثيرة وعندهُ الحكماء والسحراء والمنجمون. وموسى راعي غنم وهو ألثغ اللسان معهُ عصاً حقيرة يروم ارشاد فرعون الى الصواب حتى ان فرعون غضب واشتدّ غيظهُ واستهان بالرسالة. فعاد موسى الى ربّه وشكى اليه ما جرى من فرعون فقال لهُ الله حسب ما نطقت به التوراة (خر ٤: ٢١): «أنّني انا صلّبتُ وقسّيتُ قلب فرعون» ففي هذا من ظاهر الشناعة ما تظنّهُ الجَهَلة وفي باطنه من الحكمة ما تتحقّقهُ العلماء.

ثمّ انهُ امر الملاك فقتل الابكار من اهل مصر جميعهم ولم ينَلْ ابكارَ بني اسرائيل شيء من السوء (254) بل خلّصهم من هذه المحنة بدم خروف حقير وجرى ما جرى من امرهم في خروجهم من مصر ومقامهم في التيه. وأرسلَ عليهم الحيّات ذوات السمّ القاتل فكان مَن نهشتهُ الحيّة ونظر الى حيّة النحاس التي امر بها موسى ان تُنصَب على رمح عالٍ يسلم من الموت ومن لم ينظر الى تلك الحيّة النحاسيّة تلف. واشياء أخر عدّة ظاهرها مستقبَح وباطنها يوحي بالحكمة الباهرة

ثمّ انّ اكثر انبياء بني اسرائيل ثاروا عليهم وقتلوهم فلم يمنع الله عنهم القتل فانّ اشعيا النبيّ نشروهُ بمنشار. وارميا النبيّ طرحوهُ في جبّ السباع. وزخريا النبيّ قتلوهُ بين الهيكل والمذبح. وكفروا به تعالى مرارًا عدّة. وما تأخر عنهم قليلًا موسى حتى اخذوا حليّ نسائهم وصاغوا منها العجل وقبل ان يفرغ الصائغ من عمله عبدوهُ وذبحوا لهُ الذبائح. ولو انّزلت فيهم الآيات والمعجزات حين خُسف بهم او حين نزلت عليهم النار مع الكبريت فاحرقتهم لقد كان اجرد في صلاحهم من الحقد عليهم والتشفّي فيما بعد

فاحمل يا هذا ما جرى من صلب المسيح على هـذه القياسات . فان قلتَ : ألا منع الله عن المسيح ما جرى عليه من اليهود ؟ قلنا : انهُ لهذا ظهر وبهِ تمَّ (25) ما انذرت بهِ الانبياء . فان قلت : اذن موجب ما جرى على المسيح انما هو نبوَّة الانبياء ؟ . قلنا : لا بل نظرت الانبياء الى ذلك الامر نظرًا الهيًّا لما كان مزمعاً ان يجري وكأنها شاهدتهُ عن بُعد كالشبح الخفيّ فنطقت بحلولهِ كأنها حاضرة . فان قلتَ : فان كان هذا الامر من الامور الضروريَّة فما ذنبُ اليهود ؟ . قلنا : انَّ اليهود لم يقطعوا ذلك لتكميل ارادتهِ بل لابادتهِ وهلاكهِ . وعلى كلّ حال فانَّ الناس خُلقوا مستطيعين ذوي اختيار ومشيئة قادرين على فعل الخير والشرّ

فأخطرْ لبالك يا هـذا طَرْحَ بختنصَّر لدانيال النبيّ في جبّ السباع وطرح الصبيان في اتون النار فانَّ هذا فعلهُ باختيارهِ والله تعالى لم يمنعهُ عن ذلك لكنه منع السباع من اضرار دانيال ومنع النار عن الصبيان فالمنعُ كان لما لا اختيار لهُ اعني السباع والنار واما ذوو الاختيار فلم يكفّهم ولم يمنعهم من القاء ذاك للسباع وهؤلاء للنار

وكذلك افهم في اليهود بانهم اناس مختارون ذوو استطاعة اليهم ان يفعلوا الخير والشرّ فلو منعهم من الاضرار بالمسيح لكانوا مضطرّين . فان قلتَ : انهُ قد كان يمكنهُ تعالى ويقدر ان يمنع اليهود عن المسيح كما منع قوم لوط واعمى عيونهم عن دخول منزل لوط وكما يبّس يد بعض الملوك فمنعهُ ان يأخذ رجلًا من الانبياء من غير ان يحول (256) بينهم وبين اختيارهم . قلنا : قد كان يقدر على ذلك وفعلهُ بالمسيح مرّتين وثلاثًا حين قبض ايدي اليهود عنهُ وانصرف من عندهم فلم يقدروا ان يُلقوا بهِ (لوقا ٤ : ٣٠) وحيث قدموا عليهِ ليأخذوهُ فسقطوا على وجوههم لهيبتهِ على ما نطق بهِ يوحنا البشير (١٨ : ٦) الَّا انَّ منعهم من المسيح رأساً اقلّ في المعجز كثيرًا من قبضهم عليهِ وصلبهِ ودفنهِ ثم قيامتهِ من القبر بعد ثلثة ايَّام وأحقر كثيرًا

فالناس قد يمكنهم ان يدفعوا البلايا من بعضهم بعضاً واما الإحياء بعد الممات فلا يستطيعهُ الَّا الله وحدهُ . فالله تعالى لم يدخل على مسيحهِ في تسليمهِ للصَّلب وهنا (تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا) وانما المعجز ان يجري على المسيح ما جرى من الصَّلب

والموت والدفن والقيامة وانبثاث رسله في آفاق الارض ونشر بشارته في الامم وقبول الامم هذا الامر العظيم ظاهره الشنيع قبل تأمل السر فيه . فهذا اعظم من المعجز المتوقف على منع اليهود عن المسيح او حمايته عنهم

فاذن تسلط اليهود عليه وصلبه وما جرى من امره اعظم في باب المعجز من منعهم عنه اذ كان الناس قبلوا ذلك من الرسل مع ما فيه من الذلة والشناعة (257) وسخف الظاهر وانما قبلوا ذلك منهم بالآيات والمعجزات التي اظهروها لهم والتي ألزمتهم قبول اقاويلهم فيما ذكروه من حال المسيح . فلما دخلوا في هذه الشريعة انكشفت لهم الاسرار الخفية فيما جرى عليه التدبير

وايضاً فقد كان نفذ تعالى لوح على لسان الانبياء تلويحاً من غير تصريح ان الناس يقومون بعد الموت فليتحقق هذا في نفوسهم قام المسيح من بعد دفنه واقام في هذا العالم اربعين يوماً وظهر للتلاميذ والجماعة من الأتباع والاصفياء وشاهدوه حتى لئلا توما السليح لم يصدق قول اصحابه فيما ادعوا من قيامته الى ان ظهر له في العلية مع غيره من التلاميذ واخذ بيده واراه موضع الطعنة والمسامير وقال له : الآن يا توما امنت وتيقنت بانني انا هو . فقال له توما : تحققت وآمنت . فقال له المسيح : الطوبى لمن لم يشاهدوني ويؤمنون بي (يو ٢٠ : ٢٤—٣١)

وقد كان الحفظة من الروم (الرومان) موكلين بالقبر لئلا يقرب احد من التلاميذ اليه فقيامته ميتاً من القبر وظهوره للجماعة بعد دفنه (258) اعظم من منع اليهود عنه لان منهم وصدهم عنه قد كان يمكن ان يقع فيه شك فاما صلبه ظاهراً وموته ودفنه وقيامته من بعد دفنه وصعوده الى السماء وانفاذ رسله الى الآفاق وطاعة الناس لهم على ما دعوهم اليه فاعظم من المعجز واكبر امراً

ألا ترى ما فعل الشيطان بأيوب فانه لما رآه قد أثرى وحسن حاله في جسمه ونفسه وولده واملاكه وبهائمه وجميع احواله قال : لو تمكنت منه لأبليته بالبلايا التي تدعوه الى الكفر بالله . فكف الله عن حماية أيوب فتسلط عليه الشيطان فأمرضه وأسقمه وقرح بدنه واظهر فيه الدود واتلف اولاده وبهائمه وافقره فلم يؤثر ذلك في امانة أيوب شيئاً لكنه بقي على ما لم يزل عليه من التوكل على الله ولم يزل يقول : ان الله اعطى والله اخذ فليعظم اسم الله ويمجد على السراء

والضرّاء . قلنا رآهُ الشيطان على ما لم يزل من الثقة بالله تحيَّر والتخذل . اما الله فاذ رأى امانتهُ ابرأهُ من امراضه وازال عنهُ اوصابَهُ وردَّ عليه نعماءهُ . فكان هذا اعظم في كَبْت الشيطان وخمود سلطانه من ان يمنعهُ عن أيوب . ففي هذه الاشارات كفاية (259) لمن أنصف

*

فلنأخذ في أسلوب الوجوب من بعد ما ذكرنا من الكلام على جهة المماندة فنقول : انَّ المسيح اخبر التلاميذ واليهود ايضاً بانَّهُ سيُصْلَب ويموت ويُدفن ومن بعد ثلثة ايام يقوم . ولو اراد ان يهرب ويستتر لَفعلَ كما فعل دفعات . والعلَّة في انَّهُ استتر اوَّلاً وفي آخر الامر اسلم نفسهُ لانَّهُ في الاوَّل لم يكن قد اكملَ سنَّتهُ ولا علَّمها الناس تامًّا في الاخير لمَّا اكمل السنَّة العتيقة بنفسه وسنَّ الحديثة واكملها حينئذ اسلم نفسهُ ولم يهرب من اليهود لكنَّهُ مضى الى الموضع الذي جرت عادتُهُ بان يمضي اليه مرارًا وهو الموضع الذي كان يهوذا الدافع عارفاً به

ونعلم ذلك ايضاً من قوله : انا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسهُ عن غنمه . ومعنى هذا انَّهُ يُصلَب ويموت ويحيي عن آدم واولاده تلك الخطيَّة الاولى التي جرت في الفردوس اذ هو صار قرباناً عوضاً عنهم

ونعلم ذلك ايضاً من قوله لليهود (يو ٢ : ١٩) : « انقضوا هذا الهيكل وانا ابنيه في ثلاثة ايام » . ولم يفهموا قولهُ ولا مُرادَهُ بهذا القول لانَّهُ انما عنى بذلك (260) جسدهُ وانهم سوف يقتلونهُ فيعود حيًّا بعد ثلاثة ايام

ومن قوله لهم لمَّا عنَّتوهُ وطلبوا آيةً فقال (متى ١٢ : ٣٩) : انَّ « قبيحة السوْ تطلب آية فلا تُعطى آيةً اكبر من آية يونان النبيّ فكما انَّ يونان بقي في احشاء الحوت ثلثة ايام وثلث ليالٍ هكذا ابن البشر يكون في قلب الارض ثلثة ايام وثلاث ليالٍ »

ومن قوله للتلاميذ (متى ١٧ : ٢١) « انني أُصلَب واموت وأُدفن واقوم من بعد ثلثة ايام . ومن قوله لليهود (يو ٨ : ٢٨) : انكم ستصلبونني . حتى انهم قالوا لهُ : من الذي يريد بك هذا

ومن تشجيعهِ لتلاميذهِ وقولهِ لهم (متى ١٠ : ٢٨) : « لا تفزعوا من الذين يقتلون الجسد . ومن علمهِ بالخيرات التي ينتجها موتهُ من خلاص البشر واهلاك

الشيطان. ومن زجره لشمعون وقوله لهُ (متى ١٦: ٢٣): « انطلق الى ورائي أيها الشيطان » اي انك تُؤثر ما يريد الشيطان ليكون الناس سدى في طغيانهم

(سؤال) اذا كان الامر على هذا قلمَ اضطرب المسيح وسأل ان يُدفَع عنهُ كأس الصلب والموت ؟

(جواب) انما ظهر منهُ ذلك ليحقّق ناسوتهُ . ولأنهُ أشفق على اليهود الذين عملوا (262) في ابادة نفوسهم . ولأنَّ تبدُّد الغنم يصعب على الراعي . فلأجلنا كلّنا ولرأفته بنا واشفاقه علينا اظهر منهُ التنيُّر ولأنَّ الغرض كان انقاذنا من خطيَّة آدم فامَّا هو فلم تتطرّق عليهِ خطيئة لا قولًا ولا فعلًا ليجزع من الموت فقد قال النبيّ (اش ٥٣: ٦): « انَّ الله حمَّلهُ خطايانا وصار بدلنا لعنةً ». وهو القائل لليهود (يو ٨: ١٦): « من منكم يوبخني على خطيئة ». وقال ماري بولس الرسول (عبر ٤: ١٥): « انهُ اشبهنا في جميع الامور ما عدا الخطيئة » . ويوحنَّا المعمدان يقول (يو ١: ٢٩): « هذا حمل الله الحامل خطايا العالم »

وان اردتَ ان تزيل عن نفسك هذا الشكوك فاعلم انَّ تدابير المسيح هي على اربع جهات : احدها طبيعيّ بمنزلة كونه من جسد ونفس وانهُ حُمل بهِ تسعة شهور . والآخر ناموسيّ كالختانة والقرابين التي قُرّبت عنهُ والتي هو قرَّبها . والثالث التدبير المظنون بهِ انهُ طبيعيّ كالأكل والشرب والجوع والنوم والفزع قبل الصلب فانَّ هذه فعلها سيدنا ليحقّق عندنا ناسوتهُ لنأنس بهِ ونقبل افعالهُ بحسب الطاقة ونعلم انَّ ذلك لم يكن خيالًا لكن حقيقةً غير انَّ ذلك بارادته ومشيئته (262) لا عن اضطرار وفزع حقيقيّ مثلنا . والرابع هو على طريق المعجز مثل كونه وُلد من غير اب ولا انتقاض عذرة وانهُ مشى على الماء وغير ذلك من المعجزات التي اظهرها . والعلَّة في انهُ صلّى قبل القبض عليهِ لا لحاجة منهُ لذلك بل ليعلّمنا ان نصلّي ونستعين بالله عند كلّ شدَّة . والعلَّة في انهُ سأل ان يجوز عنهُ كأس الموت ليظهر لنا ناسوتهُ والّا لما قال لتلاميذه (متى ٢٠: ١٨): « انَّ ابن البشر يصعد الى اورشليم ويسلَّم الى الكهنة » والاحبار ويحكمون عليهِ بالصلب ويقوم من بعد ثلاثة ايام »

والشكّ الذي يتعلّق بهِ المخالفون هو العلَّة في قولهِ (لو ٢٢: ٤٢): « لا تكن ارادتي لكن ارادتك يا ابتي »

فالجواب انَّ المسيح وان عبَّر بهذا القول عن نفسه عبَّر بهِ عن الجنس البشريّ جميعهِ (١ فكأنَّهُ يقول: انَّ الطبيعة البشريَّة لضعفها مائلة الى الشهوات وهي قليلة الصبر على الشدائد وكثيرة الفزع منها فلا أوثر ما تميل اليهِ طبيعة الناسوت لكن ارادتي وارادتك واحدة فالذي تريد أُريدهُ اذ كان جوهري وجوهرك واحدًا ومشيئتي ومشيئتك واحدة. ولهذا قال (يو ٨: ٢٨) «لم آتِ من ارادة نفسي». فهذه شهادات دالَّة على صحَّة الصلب وانهُ لم يكن خيالًا (26) لكن امرًا حقيقيًّا

ثمَّ انَّ الله غير محتاج الى هذه الحيلة التي زعموها ليخلِّص بها مسيحهُ من الصلب بان جعل آخر يشبههُ مبدلًا منهُ فانهُ لو اراد ذلك خلَّصهُ ومنع اليهود عنهُ من غير ان يحتاج ان يطرح شبههُ على غيرهِ ويهرِّبهُ من اليهود بحيلة لطيفة. وهَبْ انَّهُ شُبِّه لهم انَّ المصلوب هو المسيح كقول مانى فما قولهُ بالذي مات على الصليب بعد ان تكلَّم بعدَّة اشياء وشرب الخلَّ والمرارة واوصى ليوحنَّا بمريم امهِ وامر مريم ان تتبع يوحنَّا وغير ذلك ممَّا قالهُ واظهرهُ. هل كان ذلك كلُّهُ خيالًا ام حقيقيًّا؟ ثم لمَّا اظلمت الشمس ولمَّا تشقَّقت القبور وقامت الاموات أفكان ذلك ايضاً خيالًا؟ ولمَّا انشقَّ باب الهيكل لمَّا اسلم روحهُ؟ فهل هذا جميعهُ كان خيالًا ام حقيقيًّا؟ فليكن فيما اوردتُهُ في هذا المعنى كفاية لمن اراد ان يفهم الغرض من الصلب. (تمَّ الباب)

عجائب الخلايا في النبات والحيوان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمَّة)

ان شئت ان تدرك ما اودع الخالق في خلايا النبات من القوى الغريزيَّة العجيبة ينبغي أن تحلِّل كيميائيًّا اي نبات وقع تحت يدك مهما كانت صورتهُ او زهورهُ او ثمرهُ. فترى ما هي نتيجة ذلك التحليل؟ احرقْ النبات المذكور تجدْ انَّ محصَّل هذا التحليل غازاتٌ تنبعث منهُ وبقايا رماد من المعادن الداخلة في تركيبهِ. وكلّ هذه

١) لمَّ المؤلف هنا وهو يعزو التحلة لم يصرِّح عن اقرارهِ بمشيئتي السيِّد المسيح وطبيعتيهِ الالهية والبشريَّة الباقيتين في تمامهما في اقنومهِ الواحد

العناصر كما قلنا قليلة زهيدة مرجعها الى الكربون والهيدروجين وفي بعض الاحيان الى شيء من الازوت مع آثار معدنية

فما هو الكربون ؟ هو ركن من الاركان الذي منهُ يتكوَّن الفحم . وما الاوكسجين والهيدروجين ؟ هما الغازان اللذان يتركَّب منهما الماء . وليس الازوت والاوكسجين سوى العنصرَين المركِّبَين لهوائنا . فيكون مُحصَّل تحليلنا للنبات انهُ جسمٌ مركَّب من فحم وماء وهواء

ومن اين استمدَّ النبات هذه العناصر ؟ انهُ يستمدّها بلا شكّ من الوسط المحدق به اعني من الارض والهواء . امَّا الارض فانَّ النبات يلقي جذورهُ في تربتها فيمتصُّ منها غذاءهُ وامَّا الهواء فتستمدُّ اوراق النبات في فضائهِ وتحلّلهُ وتفرز منهُ حاجتها لحياتها ونموّها

معلوم انَّ الكربون هو معظم ما يتركَّب منهُ النبات ولاسيما الاشجار الضخمة . فان احرقتَ مثلاً سنديانةً في مكان محجوب بحيث تطفأ جمرتها كما يفعل الفحّامون في «مشحرتهم» تحوَّلت السنديانة الى فحم الذي يكاد يبلغ حجمهُ حجم السنديانة الاصليّ . فمن يا ترى بلَّغ هذه الشجرة الى هذا العظم ؟ فلا شكَّ انَّها الخليَّة التي نحن في صددها

فلبيان هذا الامر دَعْنا نوقد هذه السنديانة في الهواء فهذا الوقود يتطاير الى الفضاء ويمتزج الكربون في الهواء الجويّ فيأخذ منهُ عنصر الاوكسيجين ويتحوَّل منهُ الى حامض يسمُّ الحيوانَ والانسان ويقتلهما وهو الحامض الكربونيك . وربَّما تصاعدت منهُ كلّ يوم الى الجوّ كمّيات وافرة هي كافية لأن تفني ما على الارض من الاحياء . أفلا ترى ما يوقد على وجه الارض في المدن والقرى من المواقد العديدة التي يتصاعد دخانها من المداخن الى الجوّ فضلاً عن البراكين العديدة فالحامض الكربونيّ المنبعث منها يفسد الهواء في كلّ آن وفي كلّ مكان . وزِد عليهِ ما تمجُّه الحيوانات والبشر من صدورها بالزفير بعد استنشاق الهواء . فكلّ ذلك حامض كربونيّ قتّال . ومثلهُ الروائح الكريهة التي تفرح من الاجسام الآليَّة عند انحلالها وفسادها . فكيف يا تُرى ينجو الانسان من آفة هذا السمّ الذعاف ؟

ألا انظر حكمة الخالق ورحمتهُ بمخلوقاتهِ فانَّهُ تعالى كما خلق الانسان لخدمتهِ

والحيوان الاعجم لخدمة الانسان كذلك خلق النبات لخدمتهما معاً وانّما العامل الكبير لهذه الغاية هو الخليّة التي نحن في صددها

وان سألت وكيف يكون ذلك ؟ فدونك الجواب . انّ الخليّة اذا اخضرّت تولّدت فيها بذور خضراء من مادّة ملوّنة يدعونها كلوروفيل (chlorophylle) تستعين بها لتحليل الحامض الكربونيّ المنبثّ في الهواء بمساعدة اشعّة الشمس فيعود الى عنصريه الاصليين اي الكربون والاكسيجين فاذا انفكّ رباطهما وبطل تركيبهما زال الاذى وأمن الانسان والحيوان

على انّ الخليّة لا تكتفي بالتحليل حتى تأخذ بالتركيب كما يفعل حذّاق الكيميويين الذين يحلّلون ويركّبون الاجساد في مختبراتهم . ولكن اين عمل ارباب الكيمياء من عمل النبات ؟ فانّ النبات بما طبعهُ الله في غريزته يأتي بما لا يبلغهُ اولئك الّا باستنفاد القوى وافراغ المجهود واستخدام العوامل القويّة كالكهرباء . فالنبات اذا حلّل الحامضَ الكربونيك استولى على كربونه فقرنهُ بما في ذاته من العناصر كالاوكسيجين والهدروجين وبعض الاملاح ومركّبات الازوت والنوشادر . وباقتران الكربون معها اضحت تلك العناصر مادّة للسكّر وللاثمار اللذيذة ولباب النبّات واخشاب الاشجار وازهار النجوم . لله درُّ الخلية ما اعظم عملها وما اغزر مفاعيلها . فلو فحصتَ ما يجري فيها من الحركة بواسطة المجهر لأخذ منك العجب كلّ مأخذ . فترى موانع الخلايا تجري بقنيّ دقيقة من خليّة الى اخرى فتواصل وتفتح وتتبادل خيراتها بنظام لا مثال لهُ ثم تتصاعد منها البخرة تستغني عنها وتستمدُّ بدلًا منها غازات هي اليها في حاجة ويشملها النور فيبعث فيها قوى كيمويّة جديدة تتكيّف على حسب اجناس النبات . فكلّ عمّال هذا المعمل العجيب قد نشأوا بقوّة اوّل خليّة حيّة رافقت تلك البزرة

وليت شعري ما هي تلك البزرة في اوّل كيانها انّما هي جسمٌ غاية في الدّقة اصغر كثيرًا من رأس ادقّ الدبابيس . ففي هذه البزرة مبدأ عامل اعني الخلايا القليلة التي منها تولّد جرثوم النبات ولو فحصتَ باكبر المجهرات تلك الخلايا مع جرثومها لما رأيت في جوفها غير ألياف دقيقة جدًّا وحُبَيبات غاية في النعومة اما مبدأ حياتها فلا يقع تحت الحواسّ . فان كانت تلك البزرة حيّةً ما لبثت ان نمت

وسمقت الى ان تبلغ علوًّا كبيرًا كشجرة الاوكاليتوس مثلًا البالغة في التربة الملائمة مع الحرارة اللازمة الى علوّ مئة متر . والشجرة المتكوّنة لا تخالف البتّة جرثومتها الاصليّة وشكلها النوعيّ . وهذا العمل تقوم به كلّ سنة الوف من البزور غيرها . وكلّ شجرة تحمل من تلك البزور ما لا يُحصى عدًّا فيبقى جنسها الى آخر الدهر دون ان تفقد تلك البزور قواها المحيية او تنتقل الى جنس سواهـا . تلك هي الخواصّ المذهلة التي وضعها الخالق في كلّ خليّـة من الخلايا . فليقم الملحدون وليتجاسروا ان ينسبوا كلّ هذه العجائب الى فعل الصدفة كما يزعمون . وان ارادوا ان يثبتوا لنا سلطان عواملهم الكيموية وغيرها فليعيدوا الحياة ان استطاعوا لبزرة واحدة فسدت جرثومتها لطارئ ما حتى تعود تنمو بعد ان ماتت . فان عجزوا عن ذلك ولا اراهم الّا عاجزين فليقرّوا برب الكون وخالق الطبيعة التي تبكّـتهم بلسان حالها فتمجّد الله بفعلها وهم يجحدونهُ كافرين

*

وقد اعتبرنا فيما سبق خليّة النبات وحدهـا فان وجّهنا نظرنا الى خليّة الحيوان لوجدنا فيها عجائب مثلها بل ارقى منها درجةً

ولا غرو فانّ خليّة النبات تنتج سوقًا وورقًا وزهورًا وعطورًا او سمومًا وخشبًا اما خليّة الحيوان فتولّد موادّ ليّنة كاللحوم وموادّ صلبة كالعظام وموادّ عطرة كالمسك وموادّ قاتلة كسمّ الحيّات . وتنشئ ما هو اعظم من ذلـك اعني تلك الاجهزة العجيبة والحواسّ التي يتركّب منهـا جسم الحيوان والانسان وفيها مركز شواعره واحساساته كالدماغ والقلب والعين والاذان وهلم جرًّا

وهذه الاجهزة والمشاعر تجدها مع اختلاف قليل في كل ما في الارض والسماء والبحار من الحيوان والطيور والاسماك حتى ادقّ الحشرات واصغر الهوامّ التي لا يستطيع بصرُنا ان يدركها لصغر حجمها . لا بل انّ لبعض تلك الحشرات حواسّ ادقّ واكمل من حواس الانسان نفسه

واذا اعتبرتَ الحيوان في اطوار حياته وعمله وجدت ان في الخليّة مبدأ تلك الحياة والاعمال . فانها هي التي تمدّ المادّة التي يتكوّن منهـا الجسم الحيّ . وهي التي ينمّيها وتوفّر اعدادها وانتظام اقسامها عـلى موجب رسم خاصّ تتكيّف

بكيفيّات مختلفة فتصبح اماً انساناً واماً طائرًا واماً سمكةً او دودة . وهي التي تبعث في الحيوان تلك القوّة التي يستعين بها الحيوان لحركاته واقام وظائفه (١.

واغرب ما في الخليّة من القوى انّها تستطيع ان تنقسم فتنتج خلايا مثلها وكلّ خليّة جديدة تفعل فعل الخليّة الامّ حتى تبلغ اعدادها بقليل من الزمن ألوف الالوف دون انقطاع فتتركّب منها الاعضاء على اختلاف صورها وتراكيبها وتقوم مقام ما تلفّ منها وفسد بالعمل او بطول الزمان او بعوارض الامراض . وقد كان الاطبّاء يذهبون سابقاً انّ جسم الانسان بما يتناوب فيه من الخلايا وما يتولّد من الخلايا الجديدة فيه بدلًا من القديمة يتجدّد تماماً بعد سبع سنين بحيث لم يبقَ في ذلك الجسم ذرّة واحدة من الخلايا التي سبقت تلك المدّة . اماً العلماء المحدثون فبعد فحص ادقّ ونظر اضبط قد ارتأوا انّ تجديد الجسم البشريّ لا يتم بسبع سنوات كما زعموا بل بثلاثين يوماً فقط (٢

وما يقال عن الانسان يصحّ ايضاً في الحيوان غير الناطق الذي يشبه الناطق في حياة جسده مع مراعاة الاحوال واجناس الحيوانات وكبرها او صغرها . فمن لا يقضي العجب بازاء هذه الحياة الناضة التي تتدفّق من الخليّة وتندفع اندفاع السيل الجارف في كلّ انحاء المعمور وفي الالوف المؤلّفة من اصناف الحيوانات وفي كلّ اجهزة اجسامها

وايمُ الحقّ انّ العقل البشريّ يبقى مبهوتاً متحيّرًا اذ يعدّد ما في الارض من ضروب الحيوانات فانّ الطبيعيين الذين تتبّعوا انواع الحيوان في الهواء وعلى وجه البسيطة وفي اعماق البحار قد تأكّدوا انّ انواع الحيوانات المعروفة تبلغ مئات الالوف . افادت مؤخرًا مجلّة الكوسموس العلميّة (Cosmos, 3 *Octobre*, 1912) انّ احد مشاهير علماء الطبيعة في انكلترّة نشر كتاباً حديثاً في ذوات الفقرات (les Vertébrés) فبلغ تعدادها الى ٤٧,٢٠٠ نوع عرفها الطبيعيّون ووصفوها الى يومنا

ومن ذلك شكل من الهوامّ التي تحطّ على اوراق بعض الاشجار كالكرم

---

١) راجع مجلة الابحاث (Etudes, *Janvier*, 1877)

٢) الطب مطلع الابحاث الجدليّة (Diction. d'Alès, I. p. 91)

والدَّرْدار فتمثُّلها فيظهر على الاوراق بعضها شبهُ النقَّاطات والطبيعيُّون يدعونها لذلك إريوفي (Eriophyie) فبلغ عدد ما عرف من انواعها ٢٢٧ نوعاً مقرَّراً وذلك في قسم واحد من قارَّة اوربَّة . فلو امكنهُ ان يتفقَّد بقيَّة انحاء اوربَّة وسائر العمور لملَّهُ كان وجد ما ينيف على الالوف . وقس عليهِ كلَّ ضروب الحيوانات والهوامّ والحشرات القائمة كلّها بقوَّة الخليَّة

والعجب العجاب انَّ تلك الخلايا تأتي باعمال متباينة على حسب كلّ شكل من الحيوان بل في اقسام الحيوان الواحد . اعتبر الفيل مع ضخمهِ والحشرة التي لا تُرى في غير المجهر . قابل بين مَحار البحر والفرس وبين السرطان والطير فما اعظم الاختلاف بين لحومها وعظامها . بين قرونها وريشها . بين حُمَة النَّحلة وخرطوم الفيل او انيابهِ . خذ الجسم الواحد واعرض كلّ عضو على الآخر فايّ بَوْن بين كلّ منهما . اترى العين شبيهةً بالرجل ؟ او اليد بالاذن او الدم بالعظم او الجلد بالجهاز العصبيّ ؟ ومع كثرة كلّ هذه الاعضاء . على الاختلاف البعيد الذي بينها قد صدرت بلا استثناء من الخلايا الاصليَّة وكانت كلُّها في بدْء امرها متشابهةً بل كانت بالقوَّة في خليَّة واحدة حيَّة . ومن عجيب امر تلك الخليَّة انَّها على شكل واحد في كلّ الحيوانات . فان ارباب الطبيعة يعلمون انَّ البويضة الاصليَّة هي هي في كلّ الحيوانات بلا تميز ظاهر بل هي هي في الخلايا النباتيَّة الاصليَّة . فما اعظم قدرة ذاك الذي يستطيع ان يُخرج من مادَّة زلاليَّة هي نطفةُ الخليَّة حافرَ الفرس وبرثنَ الاسد ومخلبَ الطائر وجناح النسر وزعنفة السمك وقصعة السلحفاة . فانَّ العلم اذا رنا الى هذه العجائب سكت متحيّرًا لا ينبس بكلمة ولا يحير جواباً واذا بلغ الى ينابيع الحياة ورأى مياهها المحيية تتدفَّق وتنور وتتفرَّع وتنتظم دون ان تشذَّ عن عملها البتَّة فتبرز نظام كل هذه الكائنات التي على الارض وجَمّ وخرَّ ساجداً واقرَّ انَّ لمعارفهِ حدوداً لا يمكنهُ ان يتجاوزها وانَّ وراءها الله القدير يشعلها ويديرها ويرعاها بعينهِ الساهرة ليقوم مبدأ الحياة الذي كوَّنهُ فيها بما عُهد اليهِ من العمل

فهيهات ان نكتفي بزاعم دروين وتبعتهِ فنوافقهم على قولهم بتواصل الانواع وتداخلها في بعضها ولاشتقاق كلّ نوع من الآخر . فهي كانت سابقاً كما هي اليوم ممثلةً في كلّ آن لقول بارئها (تك ١ : ٢٩) : انمي واكثري واملاني كلّ

الارض » فصحَّ ما اردفهُ قائلًا : « ومذ ذاك الحين اتمَّ السماء والارض وكلّ زينتهما (تك ٢ : ١) فسبحانهُ تعالى وتبارك اسمهُ

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)
١٥ مسقط — كُراتشي — بمباي

واهل هرمز قوم من صعاليك العرب يرتزقون من الصيد . وهناك مناجم من المُغرة وهو طين احمر فيهِ شيء من اوكسيد الحديد يُتَّخذ كصبغ فبعض من سكّان مسقط يستخرجونهُ لحساب اصحابهِ . وفي مسقط ايضاً معادن اخرى من الرصاص والفضَّة ليس احد يُعنى باستثمارها

وصلنا في صباح الجمعة ١٣ ك ١ الى مَسْقط بعد ان عدلت باخرتنا جادة عن سواحل العجم ميمنةً جوانب العرب سائرةً الى الجنوب الغربيّ . فدخلنا بحر عمان المتَّصل بالاوقيانوس الهندي ثم نفذت السفينة بين صخور عالية حتى ارسينا في مرفأ طبيعيّ تصونهُ الصخور عن هبوب الرياح . واذا نحن امام قصر عالٍ على جانبيهِ بيوت اوربيَّة لقناصل الدول وعمَّال شركات المراكب والدواوين البحريَّة في وسطها شجر النخل وكل هذه المباني تُشرف عليها من كلّ انحائها صخور بركانيَّة منتصبة عموديًّا حولها على شكل نصف دائرة . فاستغربنا هذا المنظر ومتَّعنا النظر بمشاهدتهِ ساعةً ثمَّ انحدرنا الى البرّ لنشاهد المدينة عن كثب . فافادونا انَّ القصر الذي كان ألفتَ ابصارنا هو لسلطان عُمان المسمَّى فيصل بن تركي المتولّي على بلاد عُمان التي موقعها شرقيّ جزيرة العرب على سواحل البحر شمالي حضرموت واليمن وجنوبي البحرَين يملك على نحو مليونين ونصف من العرب . ومسقط هذه حاضرةُ ملكهِ ومن مدنهِ مطرح وصُحار

ومدينة مسقط لا تُرى من البحر فانها واقعة وراء الصخور التي تحجبها فسرنا اليها واذا هي كثرية كبيرة الّا انَّها متجمّعة يكتنفها سور وتقطعها سوق مقبَّبة للتجار

ازياء المسلمين في بلاد الهند

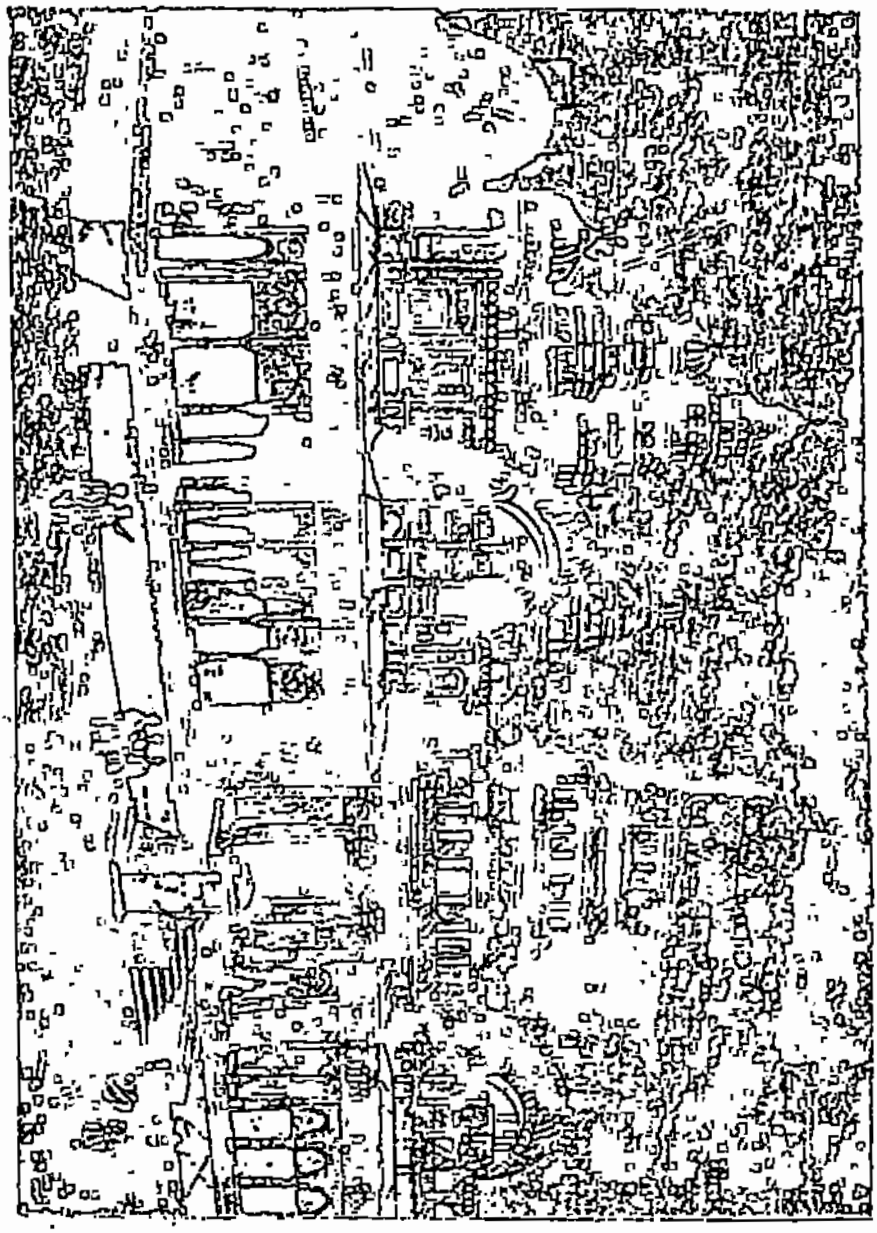

واهل الصنائع واكثرهم من العجم والهنود والحبش امّا العرب فيسكن كثير منهم في الخيم المجاورة للمدينة الّا بعض اهل الحضر الساكنين في البيوت ولغتهم مشوبة بالفاظ اعجميّة . وسألنا بعضهم عمّا لديهم من الكتب المخطوطة او المطبوعة فلم نعثر على شيء منها سوى بعض مطبوعات حجريّة مبتذلة . وسوق الادب عندهم كاسدة حتى ان صغارهم لا يجدون هناك من يُعنى بتربيتهم وتعليمهم . لكن البروتستانت فتحوا عندهم مستودعاً لنشر التوراة على حساب الجمعيّة البريطانيّة فيوزّعونها كما يفعلون في البحرين وقد رأينا الوكيل الذي عُهد اليه امرها فصرّح لنا بانّهُ لا يكاد يجد في تلك الجهات من يستفيد من بضاعته حتى ولو اهداهم اياها.

ومدينة مسقط تجاريّة اكثر منها ادبيّة لوقوعها في مدخل بحر العجم ولعلّها المدينة الوحيدة من بلاد عمان ترسي عندها السفن البخاريّة فتأتيها بالبضائع الاوربيّة ومحصولات الهند وسلع العجم وتنقل منها مرافق عُمان . واهلها اليوم يبلغون نحو ٣٠,٠٠٠ يرتزقون برعية المواشي وبمحصّل النّخل

وقد عرف الاوربيّون ما لمسقط من حسن الموقع وكان اوّل من فتحها منهم الفاتح الشهير ألبوكرك سنة ١٥٠٧ فتملّكها البرتغاليّون الى سنة ١٦٥٨ ومن آثارهم كنيستان للرهبان الاغوسطينيين هما اليوم جامعان ثمّ انتزعها منهم الانكليز وفي القرن الثامن عشر تولّى عليها سلاطين من الوطنيين الى عصرنا يضربون النقود باسمهم لكنّ الانكليز يرقبون حركات امرائها وقد امدّوا سلطانها فيصل في هذه السنة بجيش وانتذوهُ من ايدي طلّاب دولته فردّوهم بمبلغ من المال ثمّ بسطوا على حاضرته حمايتهم بل كادوا يعدّونهُ كاحد عمّالهم . وللانكليز في مسقط قنصل ينقاد السلطان لمشورته ومدخل المرفأ محصّن بالقلاع التي تخفق فوقها راية السلطان مع الراية الانكليزيّة .

وقد خافت فرنسة ان تفقد ما لها في تلك الجهات من النفوذ فسعى احد تجارها هناك المرحوم غوغويه (A. Goguyer) لدى حكومة دولته كي تقيم في مسقط لها قنصلاً فلبّت ملتمسهُ وكان اوّل قناصلها سعادة المسيو اوتاني الذي نُقل منذ عهد قريب الى قنصليّة دمشق . تعيّن قنصلاً على مسقط سنة ١٨٩٠ وكان يوم مرورنا ملازماً دارهُ مبلوّاً بحمّى خبيثة فزرناهُ وسُرّ بمواجهتنا وليس من الكاثوليك سواه

مع عمّاله ولا كنيسة لهم واخبرنا ما يلقاهُ في مهنتهِ من المشاكل بمعارضة الدولة الانكليزيَّة واعلمنا بان شركة الساجي الفرنسويَّة قد قرَّرت ارسال مراكبها الى البصرة مرَّة في الشهر وقد اجرت الامر فعلاً بعد مدَّة لكنَّها اعرضت عنهُ لمزاحمة السفن الانكليزيَّة

وبعد ان انتهينا من تفقد المدينة عدنا الى مركبنا الذي كان عيَّن ساعة سفرهِ في ظهر النهار. ولمَّا قرب ميعاد إقلاعهِ واذا برجل عليهِ بزَّة جند الانكليز ركب السفينة وسأل عنَّا فسلَّمني كتاباً انكليزيًّا بتوقيع القنصل الانكليزيّ في مسقط يقول فيهِ بانَّهُ بلغهُ انَّ احد المرسلين الكاثوليكيين مبرِّز في لعب الشطرنج فيؤمل من لطفنا بان نشرِّفهُ في دارهِ القنصليَّة ليختبر بنفسهِ حذق اللاعب

ولإدراك الامر لا بُدَّ ان نعلم القارئ استطراداً بانَّ حضرة رفيقي الاب يوسف شاغون كان مغرماً منذ حداثتهِ بلعب الشطرنج الملقَّب بلعب الملوك واذ وجد على ظهر السفينة قوماً من الهنود يلعبون بهِ راقبهم ليتحقَّق ما قيل عن مهارتهم وهذا اللعب قد اخترعهُ صدقه احد اجدادهم فلا غرو ان يكون لهم فيهِ السبق على سواهم. لكنَّهُ لم يلبث ان لحظ انَّ الخبر دون الخبر فلاعبهم وعجم عودهم ونال منهم غير مرَّة. فشاع خبرهُ بين الركَّاب وطلبت السائحة الانكليزيَّة السيِّدة تنر (Miss Tanner) ثمَّ ربَّان المركب وغيرهما ان يرضى بملاعبتهم فكان لهُ الفوز في اغلب الاحيان. ولمَّا نزل الركَّاب الى مسقط ذكروا للقنصل الانكليزي حذق الاب في لعب الشطرنج فاحبَّ ان يعاينهُ ويلاعبهُ فارسل لنا ذلك الكتاب يدعونا الى منزلهِ

فاخذني العجب من هذه الدعوة وعارضتُ الجنديّ بقولي انَّهُ حان وقت السفر ولا ندحة لنا للنزول الى البرّ. فكان جوابهُ انَّ القنصل يستطيع ان يوقف السفينة ويؤخر سفرها. على انني بعد مشاورة رفيقي اجبتُ كتابيًّا سعادة القنصل شاكرًا لهُ حسن ولائهِ ومعتذرًا لديهِ بقرب ساعة السفر مصرِّحاً لهُ بأنَّ تأخير سفر السفينة لداعٍ غير مهمّ لمَّا يسوّ ركَّاب السفينة فاقنعهُ جوابنا. على انَّ معرفة الربَّان بمضمون كتاب القنصل زادتهُ اعتبارًا لشخصنا وامر بأن نُحصى في عداد ركَّاب الدرجة الاولى

وعند الظهيرة برح مركبنا مرفأ مسقط ووجَّه سيرهُ نحو الجنوب الشرقيّ الى

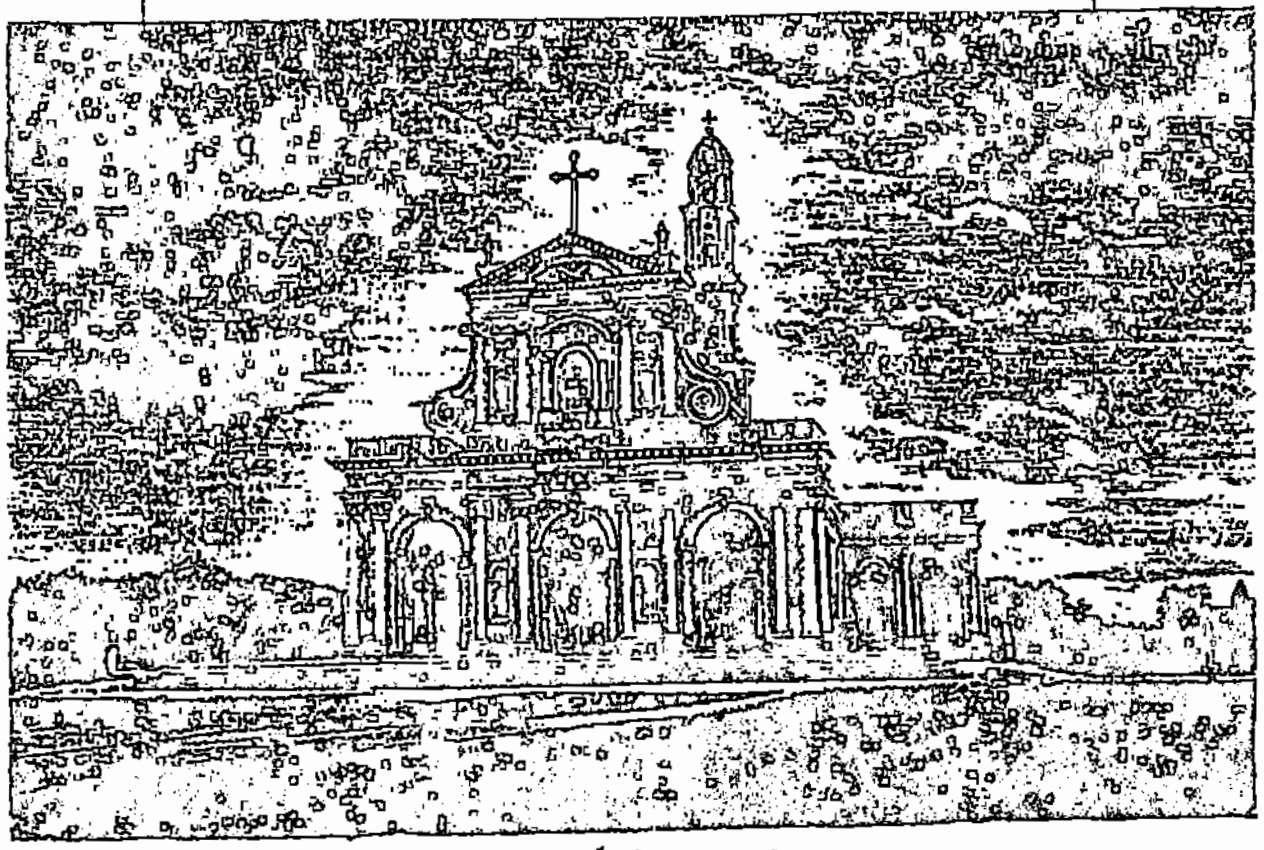

كنيسة كاثوليكيّة في الهند

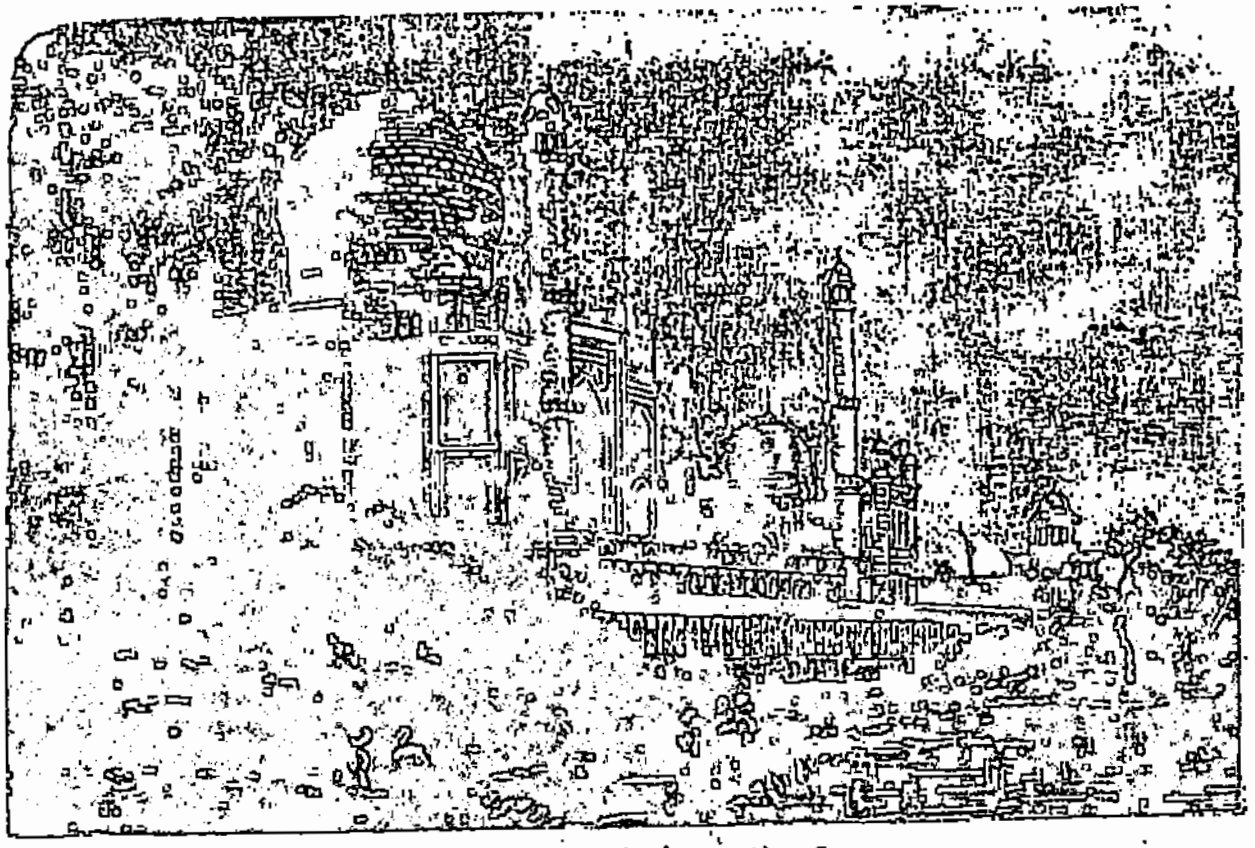

قصر لاحد ملوك المسلمين في هندستان .

جهات الهند فجرى بقيّة نهاره ثمّ طول الليل وصباح الاحد الواقع في ١٥ك ١ فوصل بعد مسير عشرين ساعةً الى مرفأ كوراتشي وهي مدينة حديثة من مدن الهند واقعة في معاملة السند يرّ قريباً منها شعبٌ من نهر الهندوس الزاخر . وكان املنا ان ننتقل من مركبنا جاوة ساعة وصولنا الى مركب آخر يسير الى عدن لكنّ ذاك المركب كان سافر قبل وصولنا بخمس ساعات فتحتّم علينا ان نذهب الى بمباي بعد لبثنا يومين في كوراتشي لأنّ مركبنا جاوة كان يحتاج الى هذه المدّة ليفرغ ما شحنهُ من البضائع والغلّات من البصرة والعجم ومسقط . فرأينا في الامر عناية خاصّة من الله لتعاين شيئاً من احوال الهند

فنزلنا في كوراتشي ولم نعلم انّ للآباء اليسوعيين هناك ديراً عامراً . فلمّا وقفنا على ذلك اسرعنا فركبنا عربةً اقلّتنا الى محلّهم وهو في اقاصي المدينة والمدينة عينها تبعد عن المرفإ نحو ساعة ونصف فاذا هناك دير متوسط الكبر وكنيسة عظيمة مبنيّة على الطرز الفرنجيّ الجميل مع مدارس زاهرة يتقاطر اليها نخبة من شبّان البلد منهم وطنيّون من الهنود والپارسيّين ومنهم اجانب لا سيما الانكليز والارلنديّين

فكان حلولنا بين اخواننا الرهبان على الرحب والسعة وهم كلّهم من الالمانيين لانّ كوراتشي لاحقة برسالة بمباي التي يهتمّ بامورها الآباء الالمان بينما يُعنى برسالة كلكوتة اليسوعيّون البلجيكيون وبرسالة مادورة اليسوعيّون الفرنسويّون وبرسالة منغالور اليسوعيّون الايطاليّون . هذا فضلاً عن بقيّة الرهبانيّات التي تشتغل في اقاليم اخرى من انحاء الهند

كان اليومان اللذان قضيناهما في كوراتشي يومَي راحة وبهجة تامّة بعد اتعاب سفرنا ولم يدّخر الاباء المرسلون وسعاً في توفير اسباب هنائنا لا سيما انهم كانوا قرأوا في جرائد اوربّة انّنا قُتلنا في مذابح ارمينية فاطمأنوا على رواياتها . وقد زرنا بصحبتهم انحاء المدينة وأرونا ما يستحقّ الذكر فيها . وكوراتشي هذه مدينة محدثة كانت قبل مئة سنة قرية حقيرة وهي اليوم مدينة عامرة يبلغ اهلها نحو مئة الف نفس . وللاوربيين فيها الدور الحسنة والمباني البهجة ومعظم تجارتها اليوم الحبوب والقطن وقد جعلها الانكليز بمرفإها الجديد وسككها الحديديّة احدى حواضر مدن الهند بعد ان كان العرب يبيعون فيها سابقاً الرقيق والعبيد . وفي احد انحائها حظيرة

واسعة للحيوانات الغريبة المجموعة من الهند والبلاد المجاورة بينها الاسود والنمورة والسباع واصناف الحيّات والتماسيح واشكال الطيور كالنسور والعقبان والببغاوات اعجبنا منها شكل من الغربان البيض على خلاف لونها المعروف وحيوانات أخرى اهداها امراء الهند ذلك المتحف

ووافق وصولنا الى الهند الفصل الطيّب من السنة مدّة وقوع وقت الزمهرير في بقيّة البلاد فكان اديم السماء صافياً والحرّ مع اشتداده محتملًا والبحر هادئاً والارض مكتسية بزخرفها من النبات فكنّا ننظر الى ما هنالك من الاشجار الغريبة والاثمار الشهيّة اللذيذة التي كنا نعرفها بالسمع دون العيان كالعنبة والفلفل وجوز بوا وكنّا نعاين خصوصاً بشوق غابات النارجيل مع جذوعها الباسقة وسعفها المنتشر في الهواء كالمظلّات الواسعة تأوي اليه الغربان الناعبة

ومن غريب ما شاهدنا هنالك في ارباض المدينة بروج الصمت وتسمّى في لغتهم دَخْمَا وهي صروح عالية مربّعة او مستديرة تُرَى عن بُعد كالمآذن يُصعَد اليها بتراقٍ في داخلها وفي اعلاها سطح على شكل المشبّك يعرض عليه مجوس الناحية موتاهم فتحطّ عليها الغربان وتفترس لحومها ولا يبقى الّا العظام فتسقط بين عوارض المشبّك الى بئر تحتها وذلك لئلا تتدنّس الارض او النار بشيء نجس

وهؤلاء المجوس بقيّة من مجوس العجم وشيعة زرادشت يعبدون الشمس والنار ويقولون بإلهين اله الخير واله الشرّ هما في نزاع مستديم وقد هربوا الى الهند لمّا تشدّد عليهم المسلمون وصادروهم ولهم في الهند هياكل يوقدون فيها النار دون انقطاع ويعبدونها كصورة اله النور الذي تمثّله غزالة النهار . وهم يُدعَون في الهند باسم پارسي (Parsis) وهي لفظة مشتقّة من الفارسي اشارة الى اصلهم . وعددهم في الهند نحو ٨٠,٠٠٠ وهم معروفون بنشاطهم وتقدّمهم وذكائهم يتقدّمون الاوربيين في ازيائهم . ويمتازون بشبه تاج كتاج اساقفتنا يجعلونه على رؤوسهم وكان البعض منهم على مركبنا يعرفون الانكليزيّة فتباحثنا معهم عن تاريخهم ودينهم . ولهم في الهند اليد الطولى في التجارة ومصارفهم من اعظم مصارف الهند . وكانت لغتهم قديماً الزنديّة وهم اليوم يتكلّمون بالهندستانيّة والغوجراتيّة اعظم لغات الهند شيوعاً واغلبهم في عهدنا لا يكترثون للدين فاصبح الاله مثون اي الدينار معبودهم الاعظم

وقد سُرِرنا لما رأيناهُ في كوراتشي من تقدُّم الكنيسة الكاثوليكيَّة وانَّا اكثر الكاثوليك من الاجانب لاسيما نصارى غوا والبرتغال وعلى الاخص الارلنديين المتجندين في الجيش الانكليزيّ فترى هؤلاء الجنود في الآحاد والاعياد يأتون بنظام فيحضرون الرتب الدينيَّة بكل خشوع ويتغنَّون بالاغاني الروحيَّة . وقد رأيناهم في الكنيسة ساعة وصولنا يحتفلون بيوبيل شفاعة القديس يوسف فأثَّر فينا منظرهم ايّ تأثير اذ رأيناهم يطوفون حول الكنيسة بتقيّ ويسمعون عظة الخطيب بلذّ السرور . وهؤلاء الجنود جمعوا مالاً من رواتبهم قبل خمس سنوات فاقاموا امام الكنيسة تمثالاً كبيرًا لشفيع بلادهم القديس بتريك فلمَّا نصبوا التمثال كانوا يأتون في ساعات الفراغ ليزيّنوهُ وجعلوا حولهُ حديقةً غرسوا فيها ضروب النبات واصناف الزهور واذ رأى قائدهم عناية الآباء بخير الجمهور منحهم ارضاً واسعة ومساعدات ماليَّة مكَّنتهم من تشييد مدارس واسعة على شرط ان يخصُّوها في وقت الاوبئة لخدمة الجنود الموبوئين وقد رأينا احداث المدارس المتقاطرين اليها وحضرنا روايةً مثَّلوها تمثيلاً اصوليًّا متقناً . وفي اثر هذه الرواية وزَّعوا الجوائز على مستحقيها وصرفوا التلامذة الى الفسحة السنويَّة التي تدوم شهرًا بنسبة وقوع عيد الميلاد ورأس السنة . وافادنا رئيس المدرسة انَّ التلامذة باجتهادهم وهمَّتهم نالوا غير مرَّة ثناء الفاحصين الذين ترسلهم الحكومة لامتحانهم ومن جزاء ذلك يمنح سنويًّا نظَّارُ المعارف هذه المدرسة مبلغاً ماليًّا لنجاح تلامذتها . وتصيب الراهبات اللواتي يسعين هناك بتهذيب البنات ببالغ مثلها لرقيّ مدارسهنَّ

ويوم الثلاثاء في ١٧ من ك ١ بعد ان شكرنا آباء مدرسة كوراتشي عدنا الى سفينتنا جاوة فاستأنفت المسير ومخرت البحر جنوباً دون ان تتريَّث حتى بلغنا في منتصف يوم الخميس ١٩ منهُ ذاك المرفأ الواسع الارجاء الذي اعدَّتهُ يد الطبيعة واحكمتهُ دون عمل الانسان اعني مرفأ بمباي (Bombay) الذي من اسمه اشتقُّوا اسم المدينة ومعنى بمباي باللغة البرتغاليَّة المرفأ الحسن امَّا الاهلون فصحَّفوهُ فيقولون مُنْباي ويذهب البعض الى انه اسم احدى إلاهات الهنود . وبفضل هذا المرفأ الطبيعي قد نالت بمباي مقاماً رفيعاً في الهند وتعدّ من حواضرها مثل كلكوتة ودهلي ومدرس

نزلنا في بمباي في كليَّة الآباء اليسوعيين المعروفة بمدرسة القديس فرنسيس

كسفاريوس . وهي مدرسة واسعة كاكبر مدارسنا في اوربّة مجهّزة بكل لوازم التعليم على الطرائق الحديثة لا ينقصها شيء من تجهيزات الاكتشافات العصريّة الموافقة لغايتها من اسلاك تليفونيّة ومصابيح كهربائيّة ومتاحف علميّة

فكان لاستقبال المرسلين لنا كما في كوراتشي في غاية الوداد واذ كانوا دخلوا في عطلة الاعياد الميلاديّة تفرّغوا لخدمتنا بكل رغبة . وكان بين الرهبان بعض الآباء الذين عرفناهم سابقاً في انكلترّة في مدرسة ديتون هال (Ditton-Hall) حيث كانت دار العلوم اللاهوتيّة لليسوعيين الالمانيين فسرّهم قدومنا الى الهند بعد أن أخبروا بموتنا في جملة ضحايا الارمن

قضينا اسبوعاً كاملاً في بباي فامكننا ان ندرس احوال البلد درساً نعماً . وكان اوّل ما قضت علينا واجبات الكهنوت ان نزور سيادة رئيس اساقفة بباي السيّد دالهوف (Mgr Dalhoff) سليل الرهبانيّة اليسوعيّة وخلف السيد مورين (Mgr Meurin) الشهير باعماله الرسوليّة في الهند وكتاباته عن اللاسونيّة التي كان من الدّ اعدائها لما عرف من شرورها المتفاقة . فالسيّد دالهوف اكرمَ افادتنا وهنّأنا بالنجاة من مذابح الاكراد وعرض علينا الاقامة مدّة في بباي والسياحة في غيرها . فشكرنا لسيادته تلطّفهُ وطلبنا بركة مساعده السيد بيدرلين (Mgr Biderlein) اسقف پونا (Poona) اليسوعيّ مثلهُ

بباي مدينة من امّهات مدن الهند وعاصمة اقليم الهندستان موقعها بازاء افريقية في غربيّ الهند على خطّ مثلّث كبير يغوص راسهُ في اوقيانوس الهندي ويمتدّ جانباهُ بين بحر بنغال وبحر عمان وبباي تابعة لارخبيل صغير لاحق بجزيرة سلسات . ولحسن موقعها الذي تحيط به الجبال مع سعته اضحت اليوم عاصمة الهند التجاريّة يتوارد اليها اهل تلك البلاد على اختلاف اجناسهم مع عدد لا يُحصى من الاحباش والعجم والعرب فيكاد الناظر يجد في هذه المدينة وحدها كلّ عناصر البشر وازياءهم ويسمع لغاتهم . والاحصاءات الاخيرة تبلغ عدد سكان بباي الى نحو المليون من النفوس

وما زاد موقع بباي اعتباراً سككها الحديديّة التي توصلها بداخليّة البلاد وبعواصم الهند حتى اقصاها كدهلي وكلكوتة والالهباد ولاهور فتتوارد اليها كلّ مرافق تلك

الاخماء ومن اعظم متاجرها القطن والقلّات المختلفة قيل انّ مبلغ واردات بمباي وصادراتها سنويًا لا يقلّ عن ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك والسُّفن التجاريّة الكبيرة من كلّ الدول تأتيها بسلع اوربّية وتنقل عنها محصولات الهند

وبمباي تنقسم الى قسمين المدينة الاوربيّة التي لا تخالف حواضر الفرنج في شيء والمدينة الوطنيّة حيث يشتمّ المسافر رائحة الهند ويرى احوال اهلها في دينهم ودنياهم وكان هذا القسم الثاني هو الذي استوقف ابصارنا على الاخصّ

والهنود امّا مسلمون وامّا وثنيّون . فالمسلمون ارقى حضارةً واذكى عقولًا من الوثنيين يسعون اليوم في جمع كلمتهم لمباراة الاوربيين وتقوية عنصرهم فلهم المدارس الجامعة لدرس العلوم الشرعية وغيرها والجوامع الفخيمة والمشروعات الخيرية والمؤتمرات الملّيّة وينشئون عدّة صحف في لغات البلاد لا سيما الهندستاني والكوزراتي والعربيّ وانّما مطبوعاتهم غالبًا سقيمة الطبع قليلة الضبط والمسلمون في الهند فوق ثلث المسلمين في العالم كلهِ يبلغون ٦٠ مليونًا

اما الوثنيّون فعددهم في الهند نحو ضعف عدد المسلمين فهم ينيفون على المئة مليون من النفوس يُقسَمون غالبًا الى براهمة وبوذيين يعبدون ضروب الآلهة المثلثة لهم القوّات العلويّة وقوّات الطبيعة . وفي اديانهم كثير من الارجاس التي يأنف الكاتب من ذكرها فضلًا عن وصفها . ولآلهتهم تصاوير غاية في القباحة والشناعة كصور بوذا وسيوا لا يستطيع ان يمينها الناظر الّا يأخذهُ العجب من ضلال البشر في اوهامهم الباطلة . وبين تلك التماثيل صور نجسة كالتنكام يعرضونها على اتباعهم فيكرمونها . وكنّا ننظر مشايعي تلك الاديان يدخلون في هياكلهم صباحًا فيقرأ لهم سدَنَتُها قياماً من كتبهم الدينيّة في اوصاف الاوثان ونزاع الآلهة واخلاقهم الفاسدة ثمّ يلصقون على جباههم علامات وخطوطًا بالوان مختلفة كالاحمر والاصفر لتقيهم غضب اولئك الالهة وشرور احداثهم

ومن بلايا هؤلاء الهنود ما فيهم من اللفوف (les castes) المتباينة فانّهم يُقسمون الى طبقات شتى لا تختلط طبقةٌ بأخرى وارقى هذه اللفوف طبقة البراهمة الذين يعتبرون انفسهم كائنٌ سماويّ فيرون الطبقات التي دونهم بعين الازدراء والهوان كما يرى السيّد عبدهُ وعلى زعمهم انهم يتنجّسون اذا آكلوا سواهم او كلموهم او

اقترنوا ببناتهم وعادات كثيرة لا تخطر على بال غيرهم من البشر

ومنها حالتهم في الزواج وذلك انهم يعدّدون الزوجات حتى انّ الرجل الواحد يتّخذ عدّة نساء بل عدّة بنات فتيات قبل سنّ زفافهنّ واذا مات الرجل بقيت تلك النساء والبنات مقصورات وان لم يتمّ الزواج مطلقاً وكانت العادة قبل تملّك الانكليز اذا مات الرجل دُفنت معهُ نساؤهُ او حُرقن مع جثّته وهنّ احياء ولا تزال هذه العادة البربريّة جاريةً في بعض الجهات القاصية حيث لا يستطيع الانكليز ان يمنعوها

ومن عاداتهم الاغتسال المتواتر بماء الكنج النهر المقدّس عندهم وهم يزعمون ان من استحمّ بهِ طهر من ادران آثامهِ

ومنها اكرامهم لبعض الحيوانات لا سيما البقر فالبقرة عندهم مقدّسة تحلُّ فيها روح الآلهة ولذلك لا يستطيع المسلمون والفرنج ان يأكلوا لحومها الّا خفيةً عن معظّميها . وكنّا نرى في اسواق بمباي بقرًا مهمَلًا كان يجري من حانوت الى آخر فيحسن اليه الهنود بمعلوف والهنديّ يرى نفسهُ محظوظاً اذا اغتسل ببول البقرة واذا مات وفي يدهِ ذنبها

وقد رأينا ايضاً الافيال الضخمة تجري وعلى ظهورها شبه البيوت والهوادج وتحمل الاثقال العظيمة ويسوسها اصحابها بتؤدة فتجري طوع امرهم وتستعين بخراطيمها كما يستعين الانسان بيديهِ

وقد زرنا في بمباي المعاهد العموميّة والنوادي العلميّة والمدارس الوطنيّة . والحكومة تنشطها جميعاً بالهبات الماليّة لا تفرق بين دين ودين ولا تقدّم جنساً على جنس وانّما تقيس جوائزها على قدر نجاح تلك المدارس في الفحوص السنويّة قدّام لُجَن تُعيَّن لتلك الغاية

وفي مقدّمة هذه المدارس مدرسة القديس فرنسيس كسفاريوس للآباء اليسوعيين فانّ تلامذتها لهم السبق على سواهم . ففي السنة التي مررنا بها في بمباي كانت الحكومة خصّصت ثماني جوائز فاخرة لمن يفوزون بقصبة السبق فنال ستًّا منها طلبة مدرسة القديس فرنسيس . ومن ثمّ ترى اقبال الجميع على الانتظام في سلك تلامذتها وعددهم ينيف على الالف بينهم جمّ غفير من ناشئة البراهمة والبوذيين والمجوس الذين

مرَّ لنا ذكرهم . والدروس في هذه المدرسة ترشح التلامذة امدَّة مناصب في الحكومة او تؤهلهم للدخول في بعض الفروع الخاصَّة كالشريعة والطب

وللاباء اليسوعيين مدرسة اخرى داخليَّة تُعرف بمدرسة السيدة مريم (S' Mary's College) هي كالمدرسة الاعداديَّة لكليَّة القديس فرنسيس

فتلك المدارس الكاثوليكيَّة من شأنها ان ترفع بين اهل الهند مقام الكنيسة الرومانيَّة هذا فضلاً عن بقيَّة مشروعاتهم الخيريَّة التي في بمباي كالمستشفيات والملاجئ ومدارس البنات واعمال الطباعة والصحافة . وعدد الكاثوليك يبلغ اليوم في ابرشيَّة بمباي ٣٠,٠٠٠ وهو في الهند كلّها نحو ٢,٥٠٠,٠٠٠ ولم يكد يبلغ مليوناً قبل خمسين سنة

وقد اهتممنا في بمباي بان نطّلع على حركة الآداب العربيَّة بين اهلها المسلمين فلم نجد هناك ما كنَّا نؤمّلهُ . فانَّ مكتبتها العموميَّة ليست غنيَّة بالمخطوطات العربيَّة واكثرها كتب فقه وعلوم دينيَّة . وليس لدى باعة الكتب ما يستحقّ الذكر الَّا بعض مطبوعات لاهور وبمباي ولوكنو واكثرها مطبوع على الحجر طبعاً سيّئاً كالشفاء لابن سينا الَّا البعض منها كرسائل اخوان الصفا في اربعة مجلّدات

وكنَّا لا نزال نستعلم عمَّا في بمباي من اصحاب العلوم الاسلاميَّة لعلّهم يطلعوننا على شيء من آثار الاقدمين فزرنا احد امراء العلويين من سلالة عليّ بن ابي طالب فوجدنا عندهُ بعض كتب فارسيَّة جميلة بخطّ بديع وتصاوير . وتعرَّفنا ببعض الشيوخ الذين كان علمهم منحصراً بدرس القرآن والفقه وحظّهم من آداب اللغة قليل

وكدنا نيأس عن وجود اثر يُذكر بين عرب الهند اذ ارشدنا الله على طريق الصدفة العجيبة في عشاء الليلة التي سبقت سفرنا الى اكبر الكتبيين في الهند اسمهُ الشيخ الشيرازي ويلقَّب بملك الكتَّاب . فهذا كان عندهُ في بيتهِ مكتبة واسعة جمع فيها معظم مطبوعات الهند والعجم مع عدد وافر من المخطوطات . فذهبنا الى بيتهِ وقضينا ساعتين من الليل بين كتبهِ فاخترنا منها نحو الخمسين ثمَّ عدنا في سحر النهار اليه قبل سفرنا واخذنا مثلها عدًّا وبعد الاتفاق على قدر اثمانها نقلناها الى المدرسة وجعلناها في صندوق على عجلة تُحمل الى مركبنا

ومن اعزّ ما وجدناهُ هناك من المخطوطات النفيسة كتاب في معجم الأدباء

قديم الّا انّ اوّلـهُ مفقود وكتاب مختصر اصول الفلسفة لبهمنيار بن المرزبان من تلامذة الشيخ الرئيس ابن سينا يُدعى تحصيل بهمنيار وهي نسخـة فريدة تاريخ كتابتها سنة ٩٠٥ هـ (١٥٠٤ م) وكتب أُخرى في الهيئة والحساب والادب فصفها ان شاء الله مع بقيّة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة

ووافق اسبوع اقامتنا في بباي استعداد الكاثوليك لعيـد الميلاد فكانوا يجتمعون كلّ مساء لاجراء رياضات تقويّة فتغصُّ بهم كنيسة المدرسـة على رحبها فيؤثر تقاهم في كلّ الناظرين

وكان الآباء المرسلون يشيرون علينا بان نطوف بعض جهات الهند ولا سيما في المدن التي رائجة فيهـا سوق الآداب العربيّة وبالاخص كلكوتة حيث الحكومة انشأت منذ نحو ثمانين سنة مطبعة نشرت تآليف جليلة كنّا لستجلبنا اكثرها لمكتبتنا في بيروت غير انّ رغبتنا في الرجوع الى برّ الشام في اوائل السنة ١٨٩٦ حدا بنا الى تقصير مدّة سفرنا

وكان شدّ ما نرغب اليه زيارة اديرتنا المختلفة في كلّ جهات الهند فان عدد تلك الاديرة ينيف على المئة ولكلّ دير اعمالهُ المختلفـة من مدارس عليا او وسطى او كتاتيب بسيطة ومن رسالات لتبشير الوثنيين حتى البراهمة ومن مشروعات خيريّة شتى كالمياتم ودور الصنائع ومن اعمال علميّة معتبرة كمراصد فلكيّة ومطابع لنشر ضروب الكتب في اللغات الهنديّة والاوربيّة. واعظم من ذلك رغبتنا النّاهبة لنظر مدينة غوا حيث يُكرَم جسد رسول الهند القديس فرنسيس كسفاريوس وهو لا يزال في صورته الاصليّة ولين اعضائه كما كان يوم موته في جزيرة سنسيان حيث كان مصمّماً على دخول الصين للتبشير بالدين. وحفظُ جسده من الفساد اعجوبة دائمة تنطق بفضل الديانة التي دعا اليها امماً لا تحصى وتابوتهُ الفخيم يُفتَح كلّ خمس سنوات امام جمهور عظيم يقبلون لمشاهدة ذلك الجسـد الطاهر فيكرمون رسولًا اقترف آيات لا تحصى منها احياؤهُ لعشرة اموات ونشر الايمان في كل جهات الهند واليابان . وذكرُ اعماله الاثيرة يحيي في قلوب مئتين من المرسلين النيرة لخلاص الوثنيين فيدعون على مثاله الوفاً من المشتركين الى حجر الكنيسة ويصبغون منهم بمياه المعموديّة كل سنة نيفاً وعشرين الفاً . فكفتنا ايضاً عن هذه الرغبة خوفاً من ان تطول غيبتنا على

اخوتنا في بيروت وهم لا يعلمون ما جرى بنا ابان المشاغب التي حدثت في ما بين النهرين وجهات الارمن

وكانت احدى سُفن الشركة الانكليزيَّة الكبرى المدعوة « Peninsula » متأهبة للسفر فعوَّلنا على ركوبها في يوم الاثنين الواقع في ٢٣ كانون الاوَّل

(البقيَّة لعدد آخر)

تعريف بعض مخطوطات مكتبتي

لجناب القانوني جرجس افندي صفا (تابع)

٤ ﴿ كتاب مجموعات ﴾ بخطّ قديم غير مذكور فيه تاريخ انتساخه ويشبه ان يكون كُتب منذ اكثر من اربعمائة سنة طوله ٢٧ سنتمترًا وعرضهُ ١٧ س بخط حسن دقيق مضبوط النقل يحتوي: ١ً على كتاب (النزهة المبهجة في تشحيذ الاذهان وتعديل الامزجة) للشيخ داود البصير الانطاكي المشهور المتوفَّى سنة ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م) جمع فيه بين الطبّ وعلم الحكمة الالهيَّة وهو ١٢٧ ورقة وفي الصفحة ٢٩ سطرًا

٢ً كتاب (قسطا بن لوقا الفيلسوف اليوناني (١ في الباغم وعلله ومُداواته) قال « وهي المقالة الاولى من كتاب ألَّفهُ لابي الفطريف البطريق احد اعيان ارمينية » وهي سبعون باباً في ١٥ ورقة

٣ً كتاب (قسطا المذكور وهي المقالة الثانية من كتابه في الدم ومنافعه في ابدان الناس والعلل التي تحدث عن تغييره في كمية وكيفية وعلاج ذلك) وهي اربعون باباً في ١٠ اوراق

٤ً كتاب (قسطا المذكور ايضاً في المرار الاصفر) وهي المقالة الثالثة من كتاب ألَّفه لابي الفطريف البطريق وهو عشرون باباً في اربعة اوراق

٥ً كتاب لابن (قسطا المذكور في المرار الاسود) ألَّفه لابي الفطريف المذكور وهو اربعة وعشرون باباً وتسعة اوراق

---

(١) راجع في المشرق سنة ١٩١١ (١٤: ٩٤-٩٦) ما كُتب عن قسطا بن لوقا وتآليفهِ

٦ً كتاب (قسطا المذكور في اشتراك الطبائع بعضها ببعض) ألفه لابي الفطريف المذكور وهو ١٤ باباً في ثلاثة اوراق

٧ً كتاب (له في الروضات بالأذهان) وهي المقالة السادسة من كتاب ألفه لابي الفطريف المذكور في ٥ اوراق

وقد ذكر ابن ابي اصيبعة ترجمة قسطا المذكور وعدد الكتب التي ألفها وفي جملتها الاربعة الاولى ولم يذكر في جملتها الكتابين الاخيرين وكأنه لم يعلم بهما وقال ان الكتب الاربعة المذكورة الفها لابي الفطريف البطريق مولى امير المؤمنين ثم قال: «ان ابا الفطريف كان في ارمينية وكان من اهل العلم والفضل فعمل له قسطا كتباً جليلة نافعة شريفة المعاني مختصرة الالفاظ في اصناف العلوم وان قسطا كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى لا مطعن عليه فصيحاً في اللغة اليونانية والسريانية والعربية نقل كتباً كثيرة من اليونانية الى العربية واصله يوناني»

٨ً مقالة (في الماليخوليا لاسحق بن عمران) قال في اوله بعد البسملة:

«هذا كتاب مختصر صنعهُ اسحق بن عمران المتطبب في الداء المعروف بالماليخوليا وهو الوسواس السوداوي تذكرةً لنفسه بما عساه ان يعروه من النسيان سيما عند دنوه من الشيخوخة التي كان افلاطون يسميها امّ النسيان ورحمةً لمن ينظر فيه من محبي الطب وابناء الحكمة (ثم قال): قال اسحق بن عمران لم اقرأ لاحد من الاوائل في الماليخوليا كتاباً مرضياً ولا كلاماً شافياً في هذا المرض الا لرجل من المتقدمين يقال له رونين الافسيسي وهذا الرجل وان كان وضع في هذا المرض كتاباً فيه مقالتان احتشد فيه بجميع عقله واحسن واجاد في البحث عنهُ وعن عوارضه وطرق معالجته فانهُ انما خصَّ بصناعته صنفاً واحداً من هذا المرض وهي الطلة السراسينية وألغى ذكر صنوفه الباقية الا انهُ محمود ممدوح بما فعل من وضع كتابهُ لانَّ من اتى بأيسر شيء من الصواب مما يُنتفع به فاضلٌ ممدوح بما فعل من وضع كتابه كمن اتى على التمام وبلغ الغاية وان كان قد قصَّر عن المراد»

وقد ذكر هذه المقالة ابن ابي اصيبعة في جملة ما الفه اسحق بن عمران في ترجمته وقال «ان كتابهُ في الماليخوليا لم يُسبَقَ الى مثلهِ» وهو سبعة اوراق. واسحاق بن عمران كان طبيباً بغداديَّ الاصل وخدم في افريقية زيادة الله بن الاغلب مدَّة ثم قُتل بامره وصُلب نحو سنة ٢٩٥ (٩٠٨ م)

٩ً (كتابه الثاني في الماليخوليا) وهو عشرة اوراق

١٠ً مقالة له (في الايارجات) ولم يذكرها ابن ابي اصيبعة وهي ثلاثة اوراق

وقال في آخرها : « قد اتممنا جملة الكتاب الذي ألّفهُ في الماليخوليا واصنافهِ وعلَلهِ ومُداواتهِ ووفّينا ما كنّا وعدنا به من اثبات الايارجات الكبار (١ على النسخة القديمة والحمد لله على عونه واحسانه امين » ثم يليه ما يأتي هكذا :

صفة الاطريفل (٢ الصغير : على النسخة القديمة الهندية مما ينفع في استرخاء المروق في المعدة في غلبة البراسير ويقوي المعدة الضعيفة من كثرة البلة وينشف الرطوبة ويحفظ الصحة ويبعد من الهرم

١١ً (ذكر اخلاطه وكيفية تركيبها) في نحو ورقتين ولم يذكر في اول هذه الصفة ولا آخرها لمن هي والظاهر انها لاسحق المذكور

١٢ً يلي ذلك كتاب آخر هذا عنوانهُ : «الكتاب المعروف بالمولودين لحنين ابن اسحق المتطبب» اوّلهُ بعد البسملة :

قال حنين بن اسحاق المتطبب خادم امير المؤمنين اني وجدتُ كلَّ من شاهدتهُ ممَّن لقيتهُ وعاينتهُ ممَّن طلب اسباب ما غمض سببهُ وغاب دليلهُ واعتاصت الحجّة فيه يطلبون التفاوض في السبب الذي صار المولود لسبعة اشهر اول من يتربّى من الاطفال ثم من بعده المولود لتسعة اشهر ثم من بعده المولود لعشرة اشهر وصار الشهر الثامن الذي بين الشهر السابع والشهر التاسع كل مولود فيه لا يربّي . واني رأيتهم مع شدّة حرصهم على ذلك وطول التفاوض فيه والمعاناة له لم يصلوا الى معرفته ولا سلكوا طريقاً يتبيّن به الوصول الى ذلك ففكّرت في ان القدماء اذا كانوا قد بحثوا عن جميع ما يُحتاج اليهِ مما تبلغه طاقة الانس وتقدّموا في ذلك جميع اهل زماننا وفضلوهم فيه حتى ان المثل قد جرى بان الاوّل لم يدع للآخر شيئاً يبحث عنهُ واظنّهم قد فعلوا ذلك في سائر الامور وان كان بعضها خسيساً قليل الدرك فضلاً عن الامور الجليلة فاظنهم لم يدعوا ذلك في هذا الغرض العظيم الخطر فرجعت بكرب (٣ (الى ان قال) انه ظفر بكتاب لأبقراط اجلّ الاطباء قدراً واعظمهم غنىً في الطب وانّه خصّ هذه المسئلة بما اطال به في الجواب عنها وشرح كلام أبقراط ومعانيهُ فيها واوردَ تحصيلهُ لها على طريق السؤال والجواب وذكرها مفصلةً مسئلةً مسئلة وجواباً جواباً (وقال) انه ألّفها للسيّد امير المؤمنين اطال الله بقاءه

وهي ستّة اوراق . ثم ذكر ذيلاً لهذا الكتاب في صفحة يتضمّن بيان مسائل تنظيم المنى في توليد جميع الاجنّة وما السبب في سلامة من يسلم منها ومن عطب

---

١) الايارج معجون مُسهل واللفظة فارسية معناها الدواء الالهي

٢) الاطريفل في الفارسية الدواء المؤلف

٣) وفي الكتاب يكبر وهو سهو من الكاتب

مَن يعطب . وفي آخر الكتاب ما يأتي : « الى ههنا هذه النسخة بخط ابي زيد (١ من والرسان (؟) وحكى ابو زيد (٢ انه وجدها هكذا بخط ابي زيد حنين بن اسحق في الكاغد هكذا وقع في الام (اي الاصل) » وكل هذا المجموع بخط دقيق مضبوط واضح تحتوي كل صفحة منه على ١٩ سطرًا وطول الكتابة في الصفحة ٢٢ سانتي وعرضها ١٢٤

٥ ﴿ الجزء الثاني من التهذيب ﴾ لسعد الدين مسعود التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) ولهم كتابه تهذيب المنطق والكلام والقسم الاول منه في المنطق (اوله بعد البسملة وفاتحة الكتاب) : « وبعد فهذه غاية تهذيب الكلام في تحرير وتقريب المرام من تقرير عقائد الاسلام جعلتهُ تبصرة لمن حاول التبصير من ذوي الافهام وتذكرة لمن اراد ان يتذكر من ذوي الافهام » والجزء الثاني هذا الذي نحن في صدده يقول في اوله بعد البسملة : القسم « الثاني في علم الكلام من التهذيب وعلى الستة وقع التبويب » . ثمَّ يحدّد علم الكلام بقوله :

الكلام (٣ هو العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية وموضوع المعلوم من حيث يتعلق بذلك وبحث فيه عن اثبات الصانع والنفس وخلودها والثواب والعقاب والشريعة وغير ذلك مما هو من متمّمات علم الالهيات

وهو ٦٠ ورقة وكل صفحة منه ١٥ سطرًا طول المكتوب في الصفحة ١٠ سانتي بعرض ٦ بخط دقيق والقسم الاول من الكتاب وهو قسم المنطق مشهور وله شرح مشهور ايضاً يسمى التذهيب على التهذيب وحاشية عليه للخبيصي . وعندي شرح عليه للدواني خط وتحقيقات وتدقيقات عليه وعلى حاشيته الجلالية في كتاب مخطوط كبير يقول الشارح في آخره : « هذا آخر ما يتعلق بقسم المنطق من هذا الكتاب وجلّ ما فيه من المباحث والابواب وقد بقي قسم الكلام منهُ متوارياً

---

١) كنية حنين المذكور (راجع ابن ابي اصيبعة)

٢) الظاهر انه ابو زيد آخر وهو الناقل لهذا الكتاب

٣) جاء في مقدمة ابن خلدون : الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالادلّة العقلية والرد على المبتدعة . وهو المسمى علم الالهيات وكانوا يتناظرون فيه ويتجاولون بالكلام فغلب عليه اسم علم الكلام

بالحجاب فلو وجدت نسخة منه لشرحتهُ على وجه التفصيل والاطناب وكشفت عن وجوه فرائده نقاب الاحتجاب وعن كنوز فرائده الاتراب »

فيكون القسم الثاني هذا من التهذيب نادر الوجود وقد قال لي حضرة صاحب الشرق الاغرّ انه يوجد منه نسخة في احدى مكاتب اوربا

٦ ﴿ مجموعة ﴾ تحتوي على الكتب الآتية : ١ً (كتاب التذكرة في علم الحديث) تأليف الشيخ الامام عمر بن الملقن المتوفّى سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) جاء في اخره : تمت التذكرة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد الفقير الى الله تعالى محمد بن علي بن خليل الشهير بالمنهاجي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين بتاريخ يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ذي الحجة الحرام سنة ٨٢٧ (١٤٢٤م) قوبلت هذه النسخة على نسخة أخرى بخط مؤلفها ختمها بما مثالهُ : « صحّ ذلك وكتب عمر بن عليّ الانصاري الشافعي . قال مؤلفهُ : فرغتُ من تحرير هذه التذكرة في نحو ساعتين من صبيحة يوم الجمعة سابعة عشرين جمادى الاولى من سنة ثلاث وستين وسبعمائة أحسنَ تقضٍ وما بعدها بخير وعافية »

٢ً (رسالة في الحدود) تشبه الكتاب المشهور بالتعريفات للسيد الجرجاني وهي تشتمل على حدود وتعريفات اولها بعد البسملة :

« الحمد لله القدير الذي خلق كل شيء فسوّاه . السميع الذي يسمع مناجاة الضمائر وخفيّات السرائر وان صمتت الافواه . البصير فلا تتحرك ولا ساكن في الماء والارض الّا يراه . العليم بما كان وما يكون وما يسقط من ورقة الّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس خلق ذلك فاحصاه . الحليم فلا يعجّل بالعقوبة على من عصاه (الى ان قال) : اعلم يا اخي هداك الله ان الحدّ عبارة عن المقصود الذي يحصره ويحيط به احاطة يمنع ان يدخل فيه ما ليس منهُ وان يخرج عنه ما هو منهُ : ومنه اشتقاق حدود الدار والحدّ في اللغة المنع ومنه سمّي البوّاب حدّاداً لمنعه الطارق من الدخول »

وفي آخره : « قد نجز غرضنا من كتاب الحدود بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً على يد مؤلفه الفقير اليه تعالى محمد المنهاجي غفر الله له ولوالديه ولكل

---

١) وهو كتاب القسم الثاني من التهذيب الذي نحن في صدده

المسلمين اجمعين امين بتاريخ اليوم المبارك يوم الاحد لتسع ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٦ م)

٣ً (رسالة ايساغوجي للابهري) : مشهورة

٤ً رسالة (في اداب البحث) كُتبت بالتاريخ المذكور والمجموعة كلها ٤٠ ورقة منها ١٥ سطرًا طول المكتوب في الصفحة ١٣ سانتي بعرض ٨٤

٥ً كتاب (تعريفات السيد الجرجاني) المشهور نسخة جليلة مضبوطة كُتبت سنة ٩٧٥ هجرية . طُبع مرارًا في اوربة بمساعي دي ساسي وفلوغل (Flügel) ثم في مصر . توفي الجرجاني سنة ٨١٦ (١٤١٣ م)

٦ً كتاب (التنبيه على اوهام ابي عليّ (١ في اماليه) اوله بعد البسملة :

قال ابو عُبَيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد البكريّ رحمه الله : الحمد لله خيرُ ما بُدئ به الكلام وخُتم وصلى الله على محمد وآله وسلّم . هذا كتاب نبهتُ فيه على اوهام ابي علي رحمه الله في أماليه تنبيه المنصف لا المتعسف ولا المعاند محتجًا في جميع ذلك بالشاهد والدليل فاني رأيت من تولّى مثل هذا من الردّ على العلماء والاصلاح لأغلاطهم والتنبيه على اوهامهم لم يعدل في كثير مما ردّه عليهم ولا انصف في كلّ ما نسبه اليهم . وابو عليّ رحمه الله من الحفظ وسعة العلم والنُبل ومن الثقة في الضبط والنقل بالمحلّ الذي لا يُجهل وبحيث يقصر عنه من الثناء الأطولُ ولكن البشر غير معصومين من الزلل ولا مبرّئين من الوَهْم والخطل والعالم مَنْ عُدّت هفواتهُ وأُحصيت سقطاتهُ كفى المرء نُبلا ان تعدّ معايبه . فلما اوردتُ من هذه الفوائد كلّ بيّنها وابديت خافيها اعطيت هذا القوس باريها واهديتها الى المعتمد على الله المؤيّد بنصر الله خلّد الله دولته وثبّت وطأته لالتماس اسرار الحكم واقتباس انوار الكلم وعنايته بانواع العلم واخذه من جميعها بأوفر قسم لا اعدمهُ الله نجحًا من السعد مُليحًا وطائرًا من اليمن سنيحًا

ثم بدأ بالكتاب فقال : انشد ابو علي رحمه الله اشعارًا منها قول بُرَيه بن النعمان ولم ينسبهُ ابو عليّ :

لقد طرقتْ فؤادكَ مُستحثًا مطوّقةٌ على فَنَنٍ تَغنّا

---

١) هو ابو عليّ القالي صاحب كتاب الامالي المشهور وقد طُبع كتابه الامالي في مصر حديثًا وهو ابو علي بن عيذون بن خرون بن عيسى القالي اخذ عن ابي بكر بن دريد الازدي وابي بكر ابن الانباري وثعلبويه وابن درستويه وغيرهم ولد في ديار بكر سنة ٢٨٨ وتوفي بقرطبه سنة ٣٥٦ (٩٠١-٩٦٦ م) ولهُ كتاب الامالي والبارعة في اللغة بناه على حروف المعجم وهو يشتمل على خمسة الاف ورقة وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك

يميلُ بها وتركبهُ بلحنٍ اذا ما مَنَّ للمحزونِ أنّا

ومنها :

وهاتفين يشجو بعدما سَجعتْ وُرْقُ الحمامِ بترجيعٍ وإرنانِ
باتا على غصنِ بانٍ في ذرى فَننٍ يردّدانِ لحوناً ذاتَ الوانِ

وفسّر ما ورد في هذه الاشعار من الحان الحمامة المراد به النُّغَات : * ع * (١) وانما المراد به اللحن الذي هو ضربٌ من الاصوات المصنوعة للتغنّي ودليل ذلك قوله « مطرِّقةٌ على فَنَنٍ تَغَنَّا » وقول الاخر « يردّدان لحوناً ذات الوانِ » . انما اراد ذات الوان من الترجيع كما قال في البيت قبله « بترجيع وإرنانِ » . ثمّ اردف :

قال ابو علي رحمه الله : واصل اللحن ان تريد الشيء فتورّي عنه . . . الخ . (وقال في محلّ آخر) وذكر ابو عليّ رحمه الله خطبة عبد الملك وانشادهُ شعر قيس بن رفاعة :

مَنْ يَصِلْ ناري بلا ذنبٍ ولا تِرةٍ يَصِلْ بنارٍ كريمٍ غيرِ غدّارِ

* ع * انما هو قيس بن ابي رفاعة واسمهُ دِثار وقد ذكره ابو عليّ بعد هذا في كتابه على صحته . وذلك في الحديث الذي رواه التوّزيّ عن ابي عبيدة قال : كان ابو قيس بن ابن رفاعة يَفِد سنةً الى النعمان اللخميّ وسنة الى الحرث بن ابي شمر الغسّاني فقال لهُ يوماً وهو عنده : يا ابا قيس بلغني انكَ تفضّل النعمان عليّ . وساق الحديث الى آخره قال ابو علي : والوِتر الذَّحل بكسر الواو لا غير * ع * هذا وهم منه الواو تُكسر وتفتح في الوتر ذكر ذلك يعقوب وغيره وقال في محل اخر (وذكر شعرًا اورده ابو عليّ ولم يفسرهُ) : ان ابا علي كثيرًا ما يشغله تفسير ظاهر اللغة عن تفسير غامض المعاني وقد افردتُ لشرح معاني نوادره كتاباً غير هذا اه

والكتاب الذي نحن في صدده ٦٨ ورقة طول المكتوب في الصفحة ١٤ سانتي بعرض ١٠ والصفحة ١٥ سطرًا وفي آخره ما يأتي : « آخر كتاب التنبيه على اوهام ابي عليّ في اماليه . فرغ من تعليقه يوم الاثنين لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وستين وستمائة (١٢٦٤م) احسن الله تقضّيها بالقاهرة المحروسة » . فيكون قد كُتب منذ ٦٦٩ سنة وهو غاية في الضبط بالشكل الكامل يحتوي على كثير من دقائق اللغة ولم اقف على ترجمة للمؤلف سوى في عيون الانبـاء لابن ابي اصيبعة فانهُ ذكر له ترجمة غير مستوفاة قال :

هو ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري من ورية من اعيان اهل الاندلس واكابرهم

(١) يريد بهذا الحرف الاشارة الى الاعتراض على ابي علي او التعقّب له

فاضل في معرفة الادوية المفردة وقواها ومنافعها واسمائها ونعوتها وما يتعلق بها وله من الكتب كتاب اعيان النبات والشجربات الاندلسية »

والظاهر ان المعتمد على الله الذي الّف له الكتاب هو المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن عبّاد المذكورة ترجمتهُ في اول كتاب قلائد العقيان

٧ كتاب ﴿ نهاية البهجة في النحو ﴾ وهو يحتوي على قصيدة تائية عدد ابياتها ٨٩٧ بيتاً تأليف الشيخ ابراهيم الشبستري النقشبندي الملقب بسيبويه الثاني من علماء القرن العاشر وعليها هوامش للمؤلف بخطّ نسخي حسن للغاية غير مذكور فيه تاريخ نسخه . اولها :

نبدأتُ بسم الله مبدى البريّة ... منيض الجدى مُعطي العطايا السنيّة
واحمده حمدًا بوافي بنعمة ... وجودًا وجودًا منهُ عمّت وخصّت
لهُ الفتحُ يوم الخفض والرفعُ بيننا ... جزاء بعدلٍ او عطاء بمنّة

ومنها :

وهذا كتابٌ ناظمٌ لمسائلٍ ... جا حاجة الطلّاب في النحو مسّت
وبالنطق والنحوي حوى كلّ نكتة ... بتحريرها كُتب النحاة تقصّت
كتاب جزيل خُصّ من بين كتبهم ... باحسن ترتيبٍ وازين حلية
سديدُ المعاني رائقُ اللفظ مبهجٌ ... مسمّى لامر ما غاية جعجع
شموسُ معانٍ عن معانٍ قرائحٍ ... تجلّت وبالنظم القويم تجلّت
نفائسُ آراء نتائجُ فكرة ... عرائس انظار علىّ تجلّت

ومنها باب الاسم :

وما الاسمُ الّا ما يدلّ بنفسه ... ولم يُستفد منه الزمان بحينٍ
وخُصّ بتنوين ولامٍ وخافض ... والإخبار عن مدلوله والاضافة
ووصفٍ وتصغير وتثنية وان ... ينادى وتأنيثٍ وجمعٍ ونسبة

ومنها في التنازع :

ومفعولٌ أستغنيتَ عنهُ حذفتهُ ... واظهرتَ او أخّرتهُ عند حاجةٍ
وذلك ما قد شاع في كلامهم ... وللسابق الإعمالُ ايضاً بقلّة
فمن لاحق الاضمار اذ ذاك مطلقاً ... وفاقاً وقد يأتي باسقاط فضلة
وان منع الاضمارَ والحذف مانعٌ ... على قولهم اظهرتهُ للضرورة
واما الذي قال امرؤ القيس منشأ ... ولو انّ ما اسعى لادنى معيشة
كفاني ولم اطلب قليل قليس من ... قبيل النزاع لاختلاف القضيّة
ولم يتنازع ما تعدّى بنفسه ... الى ثالث في قول بعض الائمّة

وفي اخرها :

فرغتُ وقد ابدى المحرَّمُ غُرةً لتسعٍ من هجرةٍ نبويّةٍ

٨ كتاب ﴿ يتيمة الدهر ﴾ وهو كتاب حكم اوله :

بسم الله الرحمان الرحيم قال الوزير السيّد ابو الحسين بن احمد بن الحسن بن عليّ رضى الله عنهُ الحمد لله العليّ الكبير القوي القدير . العليم الخبير السميع البصير . منشئ كل شيٍّ ومبيده . ومبدئ كل حيٍّ ومميته . ومبدع كل مكان وموجده . ومحدث كل زمان ومنفده . (الى ان يقول) : وقد جمعنا من انشائنا في كتابنا هذا الفًا وجيزة واجريناها مجرى الامثال . وفصولاً قصيرة قد جعلناها عدةً للولاة والعمال . وعدّة للعقلاء وذوي الاعمال . وقصدنا فيها التّفناه من ذلك وجه الاختصار ليقلّ لفظه ويسهل حفظه وجعلناهُ الف فصل ومثل في ثمانية ابواب : ١ً في الاستعانة على حسن السياسة . ٢ً في الاستعانة على فضيلة العلم والعمل . ٣ً فيما يستعان به على الزهد والعبادة . ٤ً فيما يُستعان به على ادب اللسان . ٥ً في الاستعانة على ادب النفس . ٦ً في الاستعانة على ادب الاخلاق . ٧ً في الاستعانة على حسن السيرة . ٨ً في الاستعانة على حسن البلاغة . واستمنّا فيما وصفناه من ذلك بالله الجليل وهو حسبنا ونعم الوكيل

وهذه نبذة من بابه الاوّل :

قال الوزير السيد ابو الحسين رضي الله عنه وغفر له : آفة الملوك سوء السيرة . وآفة الوزراء خبث السريرة . وآفة الرعية مخالفة الطاعة . ومفارقة الجماعة . وآفة العلماء حبّ الرياسة . وآفة الرعاء ضعف السياسة . وآفة القضاة شدة الطمع . وآفة العدول قلّة الورع . . . (ومن هذا الباب) واعلم انّ الايدي باصابتها . والملوك بصنائعها . فانّ وزيرَ الملك عينُهُ . وامينهُ اذنُهُ . وكاتبهُ نطقُهُ . وحاجبهُ لحظتُهُ . ورسوله عقلُهُ . ونديمه مثلهُ . . . (ومنه) وان اصطنعت فاصطنع من يترع الى اصل وابوّة . ويرجع الى عقل ومروّة . فان الاصل والابوة يمنعانِ من التغدّر والخيانة . والعقل والمروّة يبعثانه على الوفاء والامانة . فانّ كل فرع يرجع الى اصلهِ . وكل شيء يعود الى طبعه . . . (ومنهُ) اربعة تُعرف باربعة : الكاتب بكتابته والعالم بقراءته والحليم بافعاله والحكيم باحتماله . اربعة تدلّ على الدهاء تجرُّع الغصص وتوقّع الفرص واستداد الآراء ومداهنة الاعداء اه

وهو نحو ٦٠ ورقة مضبوط بالشكل الكامل ولا تاريخ لكتابته ويشبه ان يكون قد كُتب من مدة لا تقلّ عن اربعمائة سنة الى خمسمائة سنة

٩ كتاب ﴿ مجموع منتخبات شعر فارسيّ وعربيّ ﴾ اوله بعد البسملة : « الحمد لله الذي نوّر وجنة حبيبهِ بتجليات الجمال . فتلألأ نورًا وابصر فيه غايات الكمال ففرح سرورًا » . ثم يكمّل المقدمة بالفارسية ثم بالعربية الى ان يقول : « فصار منتخباً لو عُرض نزّه الناظر . وروّح الخاطر . ولم يحصل منه لطالعيه ملال . ولا

لمن نظر فيه كلال" . ثم يقول : "فصار له (اي ان الف له الكتاب) وصف الحال (شعر)

ساد الامامُ لخمسعشرة حجةً يا قربَ مولد سيّدٍ من سيّدِ
ان النبوّة والمروّة كلها لمحمد بن محمّد بن محمّدِ

الى ان يقول : "سلالة الوزراء العظام خلف السلف الكريم شرف الدولة والدين امير حاجي محمد" . والكتاب مقسم الى عدّة ابواب وفصول في افتتاح المكاتبة والجواب عنها وفي ذكر المنازل والاوطان والنزل والتهاني والبشارات والتعازي والمراثي والعتاب والشفاعة والتهادي والوفاء وضدّه والاعتذار والوعيد وغير ذلك . وهو اكثر من مائة ورقة وفي الصفحة ١٥ سطرًا وفي آخره : "تمّ المنتخب في اوائل شوّال سنة ثمان واربعين وسبعمائة (١٣٤٧ م)" . وهو مضبوط بالشكل الكامل فممّا ورد فيه في ما يتعلق بالشجاعة والسخاء :

كلّا بلوتُ فلا النساءُ تعذرني ولا تخشّتُ من لأوائها جَزَعا
لا يملأ الهولُ صدري قبل موقعه ولا اضيق به ذرعًا اذا وقعا

ومنه : نُسخت برقدك آيةُ الحرمانِ وعَلَتْ لوقدك رايةُ الاحسانِ
لا يترلُ الدينارُ ساحةَ كفّهِ الّا يُنادي انت رزقُ فلانِ
فكأنّهُ في كيسهِ عَرَضٌ فا يبقى زمانًا فيه بعد زمانِ

٩ الكلستان بالفارسيّ خطّ قديم جميل وهو كتاب مشهور للعجم ألّفهُ الشيخ سعدي بن عبد الله الشيرازي المتوفّى سنة ٦٩١ (١٢٩٢ م) في ثمانية ابواب اوّلها سيرة الملوك ثمّ اخلاق الفقراء ثمّ القناعة ثمّ العشق وغير ذلك من الادبيّات وسمّاهُ الكلستان اي حديقة الورد . وقد طُبع مرارًا ونقلهُ الى العربيّة المرحوم جبرائيل المخلّع كاتب الديوان الخديوي في الاسكندريّة وطبعهُ في بولاق سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٦ م) . وفي آخره : "تمّ الكتاب بعون الله الوهاب على يد العبد الضعيف النحيف صنعي اللكديّ الكاتب النكيدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات في اواخر شهر ربيع الآخر سنة ٨٧٠ هـ (١٤٦٥ م)"

١٠ نسخة ثانية من الكلستان جاء في آخره : "فُرغ من كتابة هذه النسخة سنة ٩٨٥ (١٥٧٧ م)" وهي نسخة جليلة مكتوب تحت كل كلمة ترجمتها بالتركيّة (له بقية)

الحديقة النباتية في مدرسة الطبّ الفرنسويّة

للشاب الاديب اسعد افندي ملحمه احد المتخرّجين في مكتبنا الطبيّ

ليس بين العلوم الطبيعيّة التي ينصبُّ الطلبة والباحثون على درسها علم اوسع نطاقاً وادقّ مسائل واغزر منافع واجلب للسلوى من علم النبات فانّ فيهِ ما يبهج الابصار ويفكّه الارواح ويجدي الافادة واللذّة معاً . ولا تخال الجسم الّا منشرحاً اذا ما كانت النفس مستغرقة بين الاعشاب واشكال النباتات والازهار . فكم من دارس سئم الكتاب وملّ اليراع وضاقت نفسهُ عن الاستزادة في الدرس والتنقيب عدل الى روضتهِ النباتيّة وسرّى عن قلبهِ وجدّد نشاطهُ وهمّتهُ في مواصلة احراز العلوم . وكم من فيلسوف قضى الساعات وابصارهُ تستوعي زهرةً جميلة او نباتاً غريباً يرى فيهما من غوامض الاسرار ما لا يستجليهِ غير المدقّق الممحّص ويرقى بعد تأمّلهِ فيهما الى تلك الحكمة السامية التي زيّنتهما بذاك الجمال الرائع الآخذ بمجامع الصدور

على انّ الدارس والفيلسوف يكتفيان غالباً بما يجدانهِ من مواليد الطبيعة على مقربةٍ منهما امّا النباتيّون والحشائشيّون فانهم لولوعهم بضروب النبات واشكالهِ لا يخافون ان يتجشّموا الاتعاب ويباشروا الاسفار البعيدة ليجمعوا ما لم تصل اليهِ يدهم عن كثب فتارةً يتوغّلون الجبال وتارةً يستبطنون الاودية فلا يدعون بقعةً الّا نقّبوا في زواياها ولا غوراً الّا تتبّعوا كل جوانبهِ فاذا رأوا نباتاً جديداً لم يعرفوهُ او شكلاً كانوا يرغبون الى الوقوف عليهِ فرحوا باكتشافهم لتلك الضالّة وسمّوا النظر بمعاينتها ثمّ تسارعوا فاحرزوها في صندوقة حشائشهم بكل حرص

وليست هذه النباتات دائماً من الاصناف الكبيرة الزاهية بل ربّما كانت حقيرة دقيقة ولعلّها فطورٌ لا تُرى الّا بالمجهر فنظرُ النباتيّ يجد فيها من الخصائص ما لا يجدهُ نظر الامّي فتدلّهُ عدسيّتهُ على عجائب تخلب عقلهُ وتسحرُ لبّهُ فينتقل من دهشة الى دهشة حتى اذا ما رأى الله كاملاً في تلك الاجسام الناعمة ردّد لعجبهِ صوت ذاك الفيلسوف الجليل والمعلّم الكبير القديس اوغسطينوس حيث يقول : انّ الله لعظيمٌ في الاشياء الكبيرة وهو اعظمُ منهُ في الصغيرة

ثم يعود بعد التعب والنصب الى داره كأنّ صندوقته أودعت مال قارون او كنوز معادن الترنسفال فينظّم تلك النباتات ويرتّبها على حسب اصولها وفروعها واجناسها وانواعها. حتى اذا تمّ تدوينها ترقّب الفرصة للتجوّل في ناحية اخرى ليواصل عمله من جمع اشكال غيرها وهكذا لا يزال بين ذهاب وايابٍ الى ما شاء الله لانّ العمر ينتهي قبل ان يتمّ العمل لوفرة مواليد الطبيعة النباتيّة التي لا يزال كثيرٌ منها مجهولًا حتى في كلّ بادٍ من البلاد

*

على انّ كثيرين من ارباب النبات لا يسعهم التجوال في الامكنة البعيدة والتسنّم الى مشارف الجبال فيتمنّون لو قام رجل حازم يدني اليهم ضروب النبات ويمكّنهم من درسها على مقربةٍ منهم فيستعيروا النفس بجليل فوائدها دون مشاقّ التفتيش

فاجابةً الى هذا المرغوب ترى حكومات البلاد المتمدّنة تهتمّ بغرس منابت واسعة يجمع فيها الاختصاصيّون ما يتيسّر لهم من الاعشاب واشكال الحشائش والنباتات تسهيلًا لدرس العلماء وطلّبة علم النبات ويستنبتون الاغراس الاجنبيّة التي يستحضرونها من الخارج

ولم تكن بلادنا السوريّة لتحرم مثل هذا العمل الجليل الشان بفضل وهمّة رجال علم كبار انشأوا في هذه الديار حديقةً نباتيّة هي حديقة المكتب الطبيّ الافرنسيّ في بيروت التي يتولّى تدبيرها حضرات الآباء اليسوعيين وعليها مدار رحى كلامنا في هذه النبذة فنقول :

يرتقي عهد غرس هذه الحديقة الى عام ١٨٩٢ في الجنينة اللاحقة بكليّة القديس يوسف وما هي الّا ثمان حجج خلت منذ نُقلت الى الارض المخصّصة بتشييد المكتب الطبي الافرنسي الجديد وها هي اليوم اضحت روضةً غنّاء تطوّق تلك البناية الحديثة التامّة الهندسة المتقنة البناء يطلّ عليها عابر طريق الشام من بعيد ويرى من وراء السور سقوفها الرماديّة فلا يتمالك اذا مرّ بجانبها من ان يحسّ بعاطفة الشوق تدفعه فيدخل ليتفقّد هناك عمارتين من الحجر الرملي مشيدتين الى يمين الداخل ترتكزان على اعمدة منحوتة الحجارة ثمّ عمارةً كبيرة الى يساره قواعدها متينة ذات قناطر مهيبة الشكل فخيمة تنتهي في جانبها ببنايتين متوازيتين

والحديقةُ الى جنب هذا القصر الباذخ فاذا اجلتَ الطرفَ فيها وقع على فسحة من الارض مائجة اخضرارًا تشوق النفسَ بأزاهير مختلفة الالوان تشكلها فتزيدها جمالًا وبهاء كانها السماء في كبدها النجوم تتلألأ . فيها من الاشجار ما يضارع سقوف الدور علوًّا يبلغ البعض منها الخمس عشرة ذراعًا والبعض يتعدى العشرين ألِفتها طير السماء فاصطنع العصفور بين اوراقها عشَّهُ واتخذ الهندليب اغصانها منبرًا يتغنّى عليهِ تغريدًا فترقص لهُ افنانُها طربًا واذا مرَّ بها النسيم تصطفق لهُ اوراقُها تأهيلًا وترحيبًا . وفي وسط الحديقة بركة ماء تنعكس على مرآتها قرون الغزالة وتتفجّر منها المياه بثقوب وتسري بقنوات تتشعَّب في جوانب الروضة فتسقي الاشجار الباسقة وتنساب بين تلك الاعشاب الخضراء فتحييها وتشيها . ويتصاعد من وسط البركة باقات من القصب الهندي ومن سوق البرديّ اللطيفة ومن اوراق اللينوفر فكأنَّ عرائس النيل استوطنت تلك البقعة من الارض فكستها باثوابها النضرة والوانها الزاهية

وان كانت هذه الحديقة كبيرةً تقرُّ بها العين ويُفرَّج بها القلب لحاسنها فانَّها اكبر واهمّ من حيث فائدتها لأنَّ معظم تلك النباتات والاعشاب هي من موادّ الصيدلة فتدخل في تركيب الادوية التي ينتفع بها جسم الانسان في علّاتهِ

والحديقة المذكورة ايضًا مدرسة عمليَّة لطالب هذا الفنّ فيدرسها درسًا متواصلًا ليتبيَّن خواصّ النباتات فيجتزّ من عصيرها او من اوراقها او اغصانها او زهورها تلك المفردات الطبيَّة التي جعل الله فيها شفاء للعالمين فيستمدّ هكذا من الطبيعة نفسها ترياقًا ليخفّف عن كاهل الانسانيَّة ما اثقلتهُ بهِ من الاعباء الثقيلة

وغنيٌّ عن القول انَّ النباتات التي يتخذ منها الصيدليّ موادّ ادويتهِ انَّما تتركَّب من اجهزة خاصَّة كالاصول والجذوع والاغصان والورق والزهر والثمر مرجعها الى خلايا اصليَّة سبق حضرة الاب طوران فوصفها في العدد السابق من المشرق (ص ١٦١—١٦٨) وافاض في بيان تركيبها وعملها ونموّها بامتصاصها من التربة ماء فيهِ بعض الاملاح التي تغتذي منها النباتات وبتحليلها للهواء بواسطة جهازها التلويني الاخضر المعروف بالكلوروفيل مع فعل اشعَّة الشمس فتتخذ منهُ كربونها الذي منهُ يتكوَّن معظم جرم النبات

على انّ النبات لا يقوم بهذه الاعمال الجليلة الّا اذا وُجد في احوال توافق كيانهُ . واذا نُقلت تلك الاغراس من مواطنها الى دار غربة أبت النموّ ما لم تجد في منابتها شروطاً شبيهة بموطنها الاصليّ من قبل التربة ومظاهر الجوّ كالحرارة ورطوبة الهواء او جفافهِ وغير ذلك ممّا لا غنى عنهُ لكل صنف من النبات فان استوفى النباتيّ تلك الشروط لقي جزاءهُ قريباً بما تنبتهُ الارض من نباتات البلاد السحيقة والاقاليم القاصية التي وجدت في غربتها وطناً جديداً وأنست بنباتاتٍ غيرها لم تعرفها في منبتها الاصليّ

فحديقة النبات التي اتّخذها الآباء اليسوعيّون لاستنبات الاشجار والنباتات المتنوعة والتي عوّلنا على وصفها مستوفية لتلك الشروط كما سترى

*

اعلم انّ هذه الحديقة تشغل فسحةً واسعة على شكل مربّع منحرف تبلغ مساحتهُ ١٢٠ متراً طولاً و٤٠ م عرضاً . وكانت ارضها سابقاً باثرة خطاء اهملتها الطبيعة ويد الانسان العامة ولدن أفاق ونشط لها الآباء اليسوعيّون جعلوها جنّة زاهية زاهرة بل خميلة طال فيها شجر الاوكليبتوس وبسق في الفضاء ومثلهُ النبق والسدر والجميّز

وقد عانى المتولّون لهذا العمل مشقّة اعظم في تبليد بعض الاغراس والاعشاب التي استحضروها من امصار بعيدة مختلفة المناطق حرًّا وبردًا وطولاً وعرضاً وارتفاعاً وهبوطاً ونشفاً ورطوبة لئلّا تتلف باقتلاعها من بلادها وغرسها في تربة لا توافقها او في احوال جوّية تقضي عليها بالبوار . وذلك ما عرفوهُ بالاختبار غير مرّة اذ فسدت نباتات كريمة كانوا استقدموها بكُلَف عظيمة من بلاد بعيدة لخلل وقع في استنباتها

ولحسن الطالع انّ هواء بيروت هو معادلٌ تقريباً لهواء كلّ شواطئ بحر الروم التي تنقسم سنتها بين فصلَين صيف فشتاء . فالصيف يمتدُّ من ايّار الى كانون الاوّل وتتفاوت فيهِ الحرارة التي تزيد وطأتُها في شهري تموز وآب . واذا افل هلال تشرين مدَّ الشتاء رواقهُ وطلع بدر كانون مطوّقاً بالغمام والسحاب المطر فيتدرّج القرُّ فيهِ تدريجاً ويشتدُّ في اواسط كانون الاوّل وطول كانون الثاني الّا انّ قرب البحر لا يُفسح بالتغيرات الفجائيّة التي تحدث في البلاد الداخليّة ومقياسُ الحرارة يتراوح

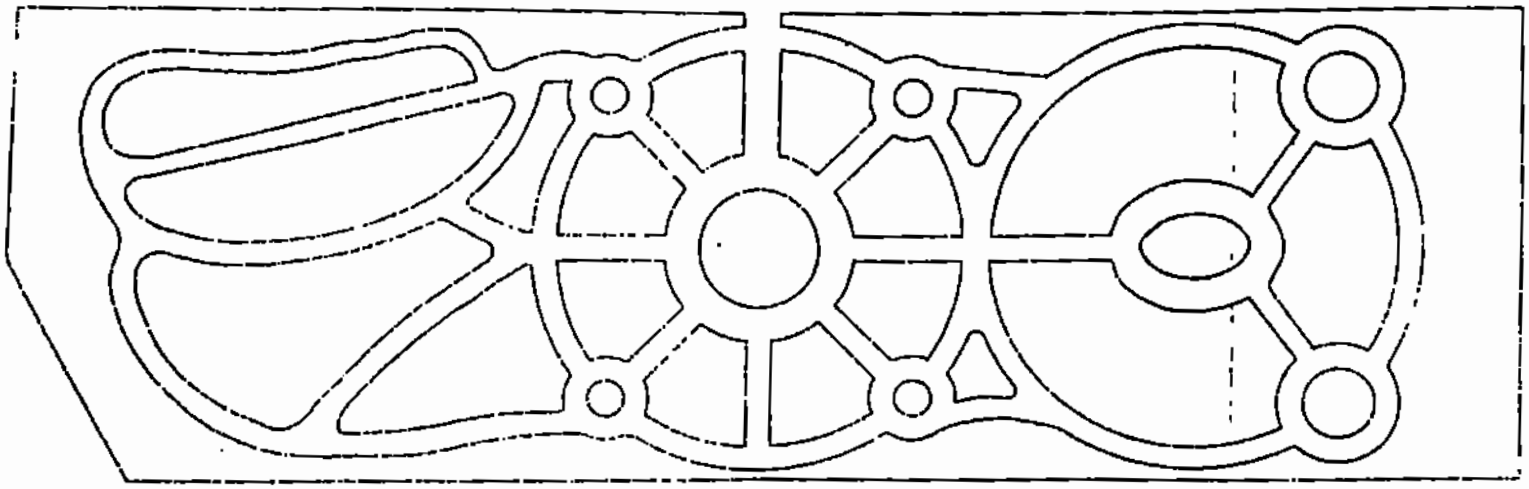

رسم الحديقة النباتيّة في المكتب الطبيّ الفرنساويّ

في بيروت والسواحل في فصل الصيف بين ٢٥° و٣٠° يكون اديم السماء صافياً والهواء لافحاً والرطوبة شديدة . ويهبط المقياس في الشتاء الى ٨° متراوحاً بينها وبين ١٣° ويندر فيها الجليد والصقيع . وفي هذه الاثناء ولا سيما في الكانونَين وشباط تتهاطل الامطار الغزيرة وتغوص جذور النبات بلا انقطاع في رطوبة دائمة وباردة وذلك من اعظم العوائق لتوطين النباتات المنقولة من البلاد الواقعة بين دائرتي الانقلاب

اما تربة الحديقة التي كلامنا عنها فانها تتركب من الرمل والطباشير ففي الطبقة العليا منها في سمك ١٥ سنتمترًا الى ٢٥ س تجد الرمل المنتشر الذي تذريه الرياح ولا يقرّ له قرار وهو من طبعه قاحل عقيم . وتحته طبقة اخرى تتركب من الرمل الاحمر الكثيف المتراصّ وهذه الطبقة مخصبة تنفذ فيها اصول النبات لكنها في الصيف تجفّ سريعاً بفعل الشمس الحامية فملافاةً لاضرارها لا بُدَّ من سقي التربة بالتواتر لتخصب وتمرع

واعلم انَّ كثيرًا من النباتات اذا لم تجد في بلادنا ما يوافقها من الهواء تذبل وتيبس فاستدراكاً لهذا الخطار واحتياطاً بكثير من النباتات العزيزة الوجود الغريبة الاصل اقاموا في هذه الحديقة بناء مزجّجاً يصحّ ان ندعوهُ بالمحضنة طبقاً لاسمه الفرنسويّ (les serres) الذي معناهُ صوان النبات . وهو عبارة عن بناء لطيف بجرز الحديد وصفائح الزجاج طولهُ عشرون مترًا في عرض اربعة امتار والمحضنة تقسم الى نصفَين النصف الواحد اشدّ حرارةً وهو يوافق بعض نبات البلاد الحارّة والنصف الآخر حرارتهُ معتدلة تلائم اشكالاً غيرها من النبات

فالغاية اذن من هذه المحاضن ان تقي بعض النباتات من البرد القارس فتجديها حرارةً اصطناعيَّة تكفيها لحياتها ونموّها وذلك بتساطل يجري فيها ماء مسخَّن . وهي على خلاف ذلك في وقت الصيف تصون غيرها من النباتات من وَقَدات الحرّ باعتدال هوائها

وزجاج هذه المحاضن ليس بزجاج عاديّ شفّاف بل هو زجاج خشيب غليظ تنفذ فيه اشعة الشمس ملطّفةً بحيث تُحجَز حرارتُها (rayons athermanes) ويُخفَّف نورها وعملها فتبقى حرارة المحضنة معتدلةً ابدًا

قلنا انّ المحضنة على قسمين فالقسم الذي لا يحتاج الّا الى حرارة متوسّطة تكفيه الحرارة الجوّية المحدقة بالمحضنة وتُجعَل فيه النباتات التي تتلف بالجليد كنباتات مستعمرة الكاب في جنوبي افريقية وبلاد لميركة الجنوبيّة واوستراليـة وجنوب الصين. فحرارة هذا القسم من المحضنة تتراوح في فصل الشتاء بين ٢٠ و ٢٦

امّا النصف الثاني من المحضنة حيث تشتدّ الحرارة فتصعد من ٣٠ الى ٣٥ ولا يجوز هبوطها دون ١٥ فهو مجهّز للنباتات الخاصّة بالاقاليم الحارّة كالنخل والنارجيل وضروب الخشار المشجّر

ومحضنة المكتب الطبيّ هي اليوم غنيّة بالاشجار والاعشاب التي تكسوها ثوباً قشيباً من الحسن على حداثة نشأتهـا الّا انّ كثيرًا من هذه النباتات الاجنبيّة لقرب عهد استنباتها لم تبلغ بعد تمامَ الباوغ او تُرى صغيرة دقيقة

وممّا يستوقف الابصار بـين هذه النباتات الاجنبيّة المنقولة الى حديقة النبات والمصونة في النصف الحارّ منها شجرة الكينا فانهـا مع صغرها تنمو نموًّا عجيباً على تباين تربتنا عن تربتها الاصليّة وموطنهـا الاوّل فان موطنها جبال اميركا المعروف بالكورديليار وضفاف نهري الامازون والاورينوك حيث تختلف احوال الجوّ. فتنتقل من الحرارة الى البرودة ومن الامطـار الى الغيوم دون ان يتجاوز ميزان حرارتها الدرجة ٢٠ او يهبط دون ١٢

وقد اتّسع اليوم نطاق زراعة هـذا الصنف فترى شجرتها ناميةً على اختلاف اجناسها في بلاد عديدة من آسية واوقيانية ولا سيما الهند الانكليزية وجزيرة جاوة لما وجد زارعوها في هذه الاقطار من صلاح التربة وموافقة الاحوال الجوّيّة ولتوفّر زراعتها قد هبطت اليوم اسعار الدواء المستخرج من قشرتها الذي يفضـل على سواهُ في علاج الحُمّى الدوريّة. واوّل من نبّه الى هذا الدواء الناجع الطبيب الجنوبيّ سبستيان بادوس (Seb. Bados) سنة ١٦٦٣ على انّ الفضل في تعريف منافعه ونشره في اوربّة يعود الى الآباء اليسوعيين الذين بثّوا في القرن السابع عشر عوائد الكينا ومنافعها لمعالجات الحُمّيات وقد عُرفت لذلك زمناً طويلاً في اوربّة باسم مسحوق اليسوعيين (Poudre des Jésuites) . والكينا شجيرةٌ رشيقة ذات اوراق بيضويّة الشكل وضلوع ضاربة الى الحمرة يكسوها شبه الخَمل الناعم

ولو حوّلت هناك نظرك من شجرة الكينا الى شُجَيْرة اخرى في جوارها لرأيت ما طالما التذذتَ بشروبه وجهلت صورة نباته اعني بها شجرة البنّ المدعوّة في عُرف العلماء بالقهوة العربيّة (coffea arabica) وهي تبسق في موطنها حتى تبلغ سبعة او ثمانية امتار طولًا وازهارُها بيضاء وعطرُهـا طيّب عبق ولها تاريخ جدير بالاعتبار الّا انّ الجهّال خلطوا فيه اي خلط فمنهم من لم يميّز البنّ عن الحشيشة ومنهم من زعم انّ للبنّ ذكرًا في التوراة وقال غيرهم انّ قدماء اليونان عرفوا القهوة. وممّا خُدع به بعض كتبة القرون الوسطى انّ اصل القهوة في العربيّة الخمر ثم أُطلق اسمها بعدئذٍ على مشروب البنّ فظنّوا انّ العرب عرفوا قديمًا قهوتنا هذه. والصحيح انّ العرب لم يذكروهـا قبل القرن السادس عشر كما اثبت الامر استاذنا الدكتور گيك في مقالته عن اصل القهوة سنة ١٩٠٣ (في المشرق ٦: ٦٨٥–٦٩٢ مع عدّة تصاوير) والرّجح انّ العجم سبقوا العرب في استعمال القهوة ثمّ اخذها اهل مصر عن العرب

ولشجرة البنّ حبوب بيضاء الشكل اذا حُمّصت تولّدت منها مادّة زيتيّة عطرة يدعونهـا كافيون (caféone) تطيّب شروب القهوة ولكن اذا زادوا في غليانها تطايرت المادّة المذكورة وفقدت القهوة لذّتهـا وطيبها وانحطّت. ومن منافع هذا المشروب انهُ ينبّه الاعصاب وينعش القوى الخامدة ويوقد الذهن ويزيل الكَرَى. لكنّ الافراط من استعمالها مضرّ فالمكثر من شرب القهوة يأنف الأرق ويصاب بطنين في الآذان ويسدرّ بصرهُ ويتعرّض للكابوس والرّجفان

والاطبّاء يستخرجون من القهوة مادّة أُخرى يدعونها كافئين (caféine) يقوّون بها ضعف القلب ويعدّلون وجيبهُ ونبضاته

ومن المشروبات الشائعة اليوم بمثابة القهوة الشاي. ومن نباته في حضانة المكتب الطبيّ نموذج حسن من شكلـه الاكثر شيوعًا المسمّى بالشاي الاخضر (thea viridis) وهو نبات ذو اوراق صغيرة جاسية متناوبة محدّدة الرأس. واذا حان وقتها ازهرت الزهور في اصول تلـك الاوراق ويكون زهرها اما مفردًا او متجمّعًا عنقوديًا في عدد ثلاثة او اربعة ازهار بيضاء او ضاربـة الى الصفرة رائحتها قليلة. وان جفّفوا اوراقها استعملوها كحبوب القهوة شرابًا لذيذًا يساعد على تنمية

حركة الدم في العروق ويفيد لتسهيل التنفس وتنبيه قوى الجسد والروح لانَّ في اوراق الشاي مادَّة منعشة كما في القهوة

واذا تقدَّمتَ بعض خطوات رأيت شجرة اخرى تبلغ في نموّها طول شجرة الشاه بلُّوط (الكستنا) ألا وهي شجرة الكولا (Kola acuminata) اصلها من بلاد افريقية الشرقيَّة يستعمل الاطبَّاء حبوبها المعروفة بجوز كولا التي خُصَّت كالقهوة والشاي بالعنصر المتري الذي مرَّ ذكرهُ وهو في الكولا اوفر منهُ فيهما . ولها مع ذلك تأثير عظيم في الجهاز العضلي لوجود قلويَّات في لونها الاحمر المعروف باحمر كولا . ويظهر انَّ الوطنيين في اواسط افريقية استعملوا الكولا شراباً لتوفير قواهم وعلى رأي الاطبَّاء المحدثين انَّ هذا المشروب افضل مما يوصف لردّ القوى المفقودة وقد بيَّن اختبارهم انهُ انجع دواء لاراحة الجسم بعد تعبهِ وان لم يتَّفقوا في تعليل الامر

وفي هذه المحضنة نيّف ومئة نبات من اجناس وفصائل مختلفة جامعة بين الفوائد العلميَّة والمنافع الطبيَّة فضلاً عن صحة جمالها . ومنها ما لا تُعرف لهُ فائدة علاجيَّة او علميَّة لكنَّهُ يزين المحضنة باشكالهِ البهيَّة كالفصيلة المدعوَّة بالمستعجلة (orchidées) فانَّ غرابة صورها ووفرة انواعها وزهو الوانها تستدعي الى العناية بها وتستلفت النظر اليها فيجد النباتي في استنباتها لذَّةً خاصَّة اذ منها ما يشبه النحلة بصورتهِ (ophrys apifera) ومنها ما هو اشبه بالعنكبوت (ophrys arachnites) . ولا حرمك الله ايها القارئ الكريم مرأى الشكل المعروف بالفانيلات العطرية (vanilla aromatica) الذي فيهِ صِنف يحتوي على عطر ذي اريج ذكيّ معدود من اطيب الاصناف العطريَّة

وهناك ايضاً ضروب النخل والخنشار التي تخلب النظر ببديع جمالها . فللاوَّل ساقٌ طويل مستقيم ذو عُقد وعليهِ ليفٌ كشعر الانسان وفي اعلاهُ اوراق ملساء او مطويَّة طيًّا رائعاً تظنُّها المراوح في انبساطها . اما الثاني فاوراقهُ المتفرّقة سنانيَّة الشكل عدَّدة الاطراف ومخرَّمة كأنَّ يد الطبيعة اهتمَّت بنسجها وتطريزها وتشكيل فُرَجها لتبهت نظرنا بمحاسن اعمالها

وفي وسط المحضنة حاجز يفصل بين القسم الحامي الهواء والجانب المعتدلهِ فان

شئت ان تنفذ الى هذا الاخير مررتَ بباب في صدر الحاجز ولوقتك تشعر بهبوط درجة الحرارة لانَّ هذا النصف خالٍ من اجهزة التدفئة وحرارتهُ المعتدلة تأتيه من اشعَّة الشمس وحدها وهي كافية لتصون النبات المودع فيها من انقلابات الهواء الخارجيَّة

وثمَّا هناك من الاشجار الجديرة بالذكر شجرة اصلها من الهند يدعونها بابايه (papayer) وفي لسان العلم (papaya vulgaris, carica papaya) وطولها اليوم متر تشبه في هيئتها النخل . ولها الاثمار الطيّبة الشبيهة بالبطيخ مع صغرها ولون هذا الثمر اصفر مع ميله الى الحمرة وفي باطنهِ لبابٌ يؤكل . ويستخرجون من هذا الثمر بالشدخ عصيرًا يتَّخذ كمهل

ومنها نوع من الخطميَّة يُدعى هِبِسكوس (Hibiscus albelmoschus) قد ازدهى في هذه السنة بزهرهِ البديع الاصفر الكبير الذي تفوح من حبوبه رائحة المسك والعطَّارون يتخذونهُ لتركيب نوع من العطر المُعنبر (ambrette)

وفي هذا القسم المعتدل الحرارة ٧٥ صنفاً من العناقير المستعمل اكثرها في الطبّ تراها منتظمةً باحسن هندام على رفوف تتصاعد كالهرم فتخالها العين كطاقة واحدة من الزهور فتُعجب بجمالها

والحديقة كما أعلمنا فسيحة تشغل قسماً منها ٤٥ نوعاً من الاوكالبتوس كلّها نامية بسرعة غريبة ومعظم تلك الاصناف في شمالي الحديقة فمنها ما بلغ طولهُ ٢٠ الى ٢٥ متراً واغصانها تظلل ما حولها بظلّ وارف وهي تتدلَّى باوراقها المستطيلة وعند ملتصق الاوراق تتفتَّح زهرتها الشبيهة بالكتَّة وتكون ازهارها امَّا مفردة متفرّقة واما مجموعة متضامَّة . ولاوراقها هيئات متنوعة على حسب انواعها مع بعض الخواصّ الجنسيَّة وهي في الاشجار الكبيرة متناوبة جاسية جافية خضراء الى الزرقة وعلى وجهها حبوب تحتوي على زيت طيَّار يدعى اوكالبتول (eucalyptol) وهو ذو رائحة عبقة كالكافور ينسبون اليهِ خاصَّة الاوكالبتوس في تطهير الاماكن من الجراثيم الوبيئة . ويعاونهُ ايضاً هذه الخاصَّة بكون الاوكالبتوس ينمو سريعاً فيحتاج لنموهِ الى ماء وافر فيمتصّ مياه المستنقعات التي حولهُ وبذلك تنجو الامكنة المجاورة من الميكروبات المعدية والحشيَّات التي تتوفَّر في تلك المستنقعات . وروح الاوكالبتول السابق ذكرهُ ينفع في الزكام الشعبيّ وفي امراض المسالك البوليَّة . وما

لا ينكر انَّ هذه اشجار الاوكالبتوس تكسو حديقة المكتب الطبيّ ثوباً من البهاء وتنطق بلسان حالها عن نموّ تلك الحديقة وغناها مع تمثيلها لقوّة الطبيعة

سرّح الآن بنظرك الى ما تحتويهِ تلك الحديقة من ضروب النخل فانَّ اصنافهُ لا تقلّ عن ٤٥ نوعاً وهذه الانواع قائمة على ساقها في كلّ جهات الحديقة مباشرةً بما هو منها منتصبٌ كالحرس عند المدخل . فالعين لا تكلّ من الشخوص الى اشجارها المزدانة بجريدها البديع وسَعَفها المهيب الواقي بظلّهِ انحاء البستان والصافق باوراقهِ عند هبوب النسيم كما تخفق الرايات في الفضاء ويروق للبصر زهرهـا الناعم الذي يتفتّح مزدهياً على علوّ بعض الاقدام

ومن المعلوم انَّ النخل من اشجار المناطق الحارّة فهي تزدان بهِ كما تزدان المناطق الباردة بشجر الشربين والارز وكما تزدهي الاقاليم المعتدلة بشجر السنديان والزيتون والكرمة . ومن نواميس الكون انَّ كلّ غريب اذا تناءى عن وطنهِ ذلَّ فالنخل وهو في بلادنا غريب التربة لا يبلغ من الطول مـا يصيبهُ في موطنهِ حيث يسمق فيتجاوز احياناً مئتي قدم وهو لا يكاد يبلغ المئة في سواحلنا وعلى قدر ابتعادهِ من المنطقة الحـارّة يضعف ويزيد هزالهُ وهو على عكس ذلك اذا قرب من خطّ الاستواء . فيُرى في الهند مثلاً عالي الراس ثابت القدم تعصف فيهِ العواصف وتسـاورهُ اعاصير البحور الهنديّة دون ان تزحزحهُ . ولقد حدث منـذ بضع سنوات ان انواء البحر غمرت بعض الجزائر الواقعة قريباً من نهر الكنج فاودت بحيـاة مئتي الف من سكّانها ولم يكن لينجو منهم غير الذين ساعدهم حسن بختهم فتمكّنوا من التوقّل الى رؤوس النخل فكان اولئك البائسون يتدلّون عـلى اغصانها كأنّهم العناكيل تحمل بشراً لا تمرّا والماء من دونهم تتلاطم امواجه وتعوم فوقهُ جثث الغرقى

ولعرض البلاد فعلٌ في جودة النخل كما لطولها بـل تأثير العرض فيها اكثر من الطول لما يجد النخل في عرض بعض البلدان من الحرارة والرطوبة معاً لانَّ هذا النوع يحبّ ان تغوص اصولهُ في الماء وتسمق فروعهُ في السماء وهو الى الرطوبة اشدّ حاجةً منهُ الى الحرارة ولذلك ترى انواعهُ اوفر في عروض البلاد وازكى تمراً . ومن اوفق البلاد لنموّه سواحل البحر والجزُر ودليلهُ نموّ النخل في حديقة المكتب الطبيّ الفرنسويّ فانَّ كثيراً من انواع النخل المنقولة من الاقاليم الحارّة او البلاد

المعتدلة الهواء تسمق حتى يكاد بعضها يجاري نخل مصر وتأتي بثمار جنيّة غاية في اللذّة . وخلاصة القول انّ ضروب النخل في هذه الحديقة تُعَدُّ كملوك اشجارها وجبابرة نباتها فيُقضَى على الاوكاليتوس نفسهِ ان يقرّ بالسبق لوصيفهِ النخل

ومن الاشكال التي يستنبتها اصحاب الحديقة الفصيلةُ التينيّة (ficus) وهي ستّة انواع اخصُّها التين العباديّ (ficus religiosa) المعروف ايضاً بالتين الهنديّ الجبّاريّ (ficus gigantesque des Indes) لهُ خاصّتان يمتاز بهما : احداهما انّ بعض غيدانهِ تتلوّى فترتكز في التراب وتصبح كدعائم تستند اليها الاغصان الافقيّة الضخمة ومع الزمان ترى جذور هذه الشجرة كالسواري البديعة المقنطرة . والثانية انّ منها يُستخرج صمغ اللكّ وذلك بفعل حشرة كالصرصور يدعونها حشرة اللكّ (coccus lacca) فهي تُسيل ذاك الصمغ بوخزتها واذا جمد جمعوهُ واتّخذوهُ في الصناعة للاصباغ ولشمع اللكّ

ومن الفصيلة التينيّة المذكورة التين اللزج (ficus elactica) الذي من عصيرهِ يستخرج اهل الهند معظم المطّاط اي الكاوتشوك الشائع استعمالهُ في عهدنا . ومنها الاصناف المدعوّة في لسان العلم باسم پسيديوم (psidium) وفي لسان العموم باسم كوياف (goyaviers) ولاشجارها ثمرٌ لذيذ يبلغ في حديقتنا نضوجاً تامّاً

ومن الفصيلة الآسية (myrtacées) التي زكت انواعها واتت بثمارها الطيّبة في حديقتنا الطيّبة نوع الجمبوز (jambosa vulgaris) ونوع الميلالوكا (melaleuca) . فالجمبوز هنديّ الاصل لهُ ثمر في كبر الزيتونة يحمرُّ بعد خضرتهِ ثمّ يسودّ لدى نضجهِ تُستخرَج منهُ مشروبات مبرّدة . ومثلهُ الميلالوكا

ومن الاشجار التي استوطنت الحديقة شجيرة تُدعى بشاي الحبش (catha edulis) اصلها من البلاد الحارّة في آسية وافريقية . والعرب يُعنَون بزراعتها وهم يأكلون اوراقها دون انام ويَنسبون الى اكلها منافع جمّة ضدّ الطاعون وامراض اخرى

وللفصائل الصنوبريّة (conifères) في الحديقة غابةٌ صغيرة موقعها جنوبيّ غربي البستان وهيئة هذه الاشجار كما هو معلوم تخالف كثيراً ما سبق لنا وصفهُ فانّ خضرة اغصانها القاتمة وانتصاب سوقها وهامتها المخروطة الشكل تجعلها مهيبةً في

عين ناظرها وفي هذه الغابة ١٨ صنفاً مختلفاً والغالب عليها الصنوبر والسرو وبينها جنسان من الأرز اعظمها شأناً ارز لبنان المعروف بعظمته وفخامته وصلابة عوده وقد بلغ شكالهُ في الحديقة متراً ونصف واذا ما سمق بلغ الاربعين متراً طولاً وانبسطت اغصانهُ وتمدَّدت اوراقه وظلَّلت فسحةً واسعة من الارض . واذا تأصلت جذورهُ في الارض تشبَّثت بها واستمسكت . وللارز اللبنانيّ هيأة فخمة تأخذ بمجامع القلب وجلال يدهش النظر ورائحة طيبة تعطّر النسيم وهو يزهر في ابان الربيع ولهُ ثمر شبيه بالصنوبر . ويضرب المثل في صبرهِ على الزمان وهو لا يزال في نموّ واعتلاء وخشبهُ لا يعمل فيهِ الفساد (راجع مقالة في الارز في المشرق ١ : ٢٢٧)

ولو اردنا ان نستقري ما في هذه الحديقة من الاشجار والنبات لطال بنا الكلام فانَّ ما نُقل من البلاد القريبة اليها واصبح اليوم متوطّناً فيها يبلغ ٣٠٠ نوع بحيث يجوز القول انَّها في قطرنا الشامي لا نظير لها يجاريها

فلا عجب انَّ من يزورها ويتأمَّل خواصَّها يخرج ولسانهُ ينطق بالشكر لمن تولَّى تجهيزها وافرغ ما لديهِ من المجهود في حفظها وتنسيتها وتنسيق انواعها نريد بهِ حضرة الاب لويس بولوموا (R. P. L. Bouloumoy) الذي منذ عشرين سنةً لم يأخذهُ ملال في العناية بها ليلاً مع نهار

ونحن تلامذتهُ نعدّ نفوسنا سعداء اذ يمكننا ان ندرس خواصّ هذه المواليد الطبيعيَّة تحت نظارتهِ فانَّها لعمري آنات لذيذة نقضيها بمعيَّتهِ بين هذه الاغراس المختلفة نتتبع ميزاتها فرداً فرداً ونستنشق روائحها ونجني بزورها واثمارها

وايمُ الحقّ انني لا أنس ما انسَ تلك الساعة التي دخلت فيها لاوَّل مرَّة هذه الحديقة بصفة احد تلامذتها وكساعد لحضرة ناظرها فذلك ما قرَّب الينا معرفة هذه الكنوز الطبيعيَّة وقد رأينا تجهيز المحفظة وعاينَّا اطوار حياتها منذ سنتين فرأيناها قد بلغت بهيَّة استاذنا ما هي عليهِ اليوم من المحاسن . وكم راقنا في التجوّل حول بيروت في رُباها وبطحائها لنجمع في كلّ فصل من السنة ما خُصَّ بهِ من النبات والازهار . وقد بلغ بنا السرور مبلغهُ اذ رأيناهُ قد شمَّر ساعد الجد لتأليف كتابهِ البديع في النبات السوريّ وقد طبع قسماً منهُ اي صور ذاك النبات بجاء مجموعاً شائقاً بل طرفة من طُرف الصناعة جازاهُ الله خيراً وألهمنا الاقتداء بهمَّتهِ

حديقة المكتب العلمي الفرنسي مع قسم من حضنته

فانَّ رجالًا مثلهُ يفتخر بهم الوطن العزيز ويرقى براسطتهم الى معارج الحضارة والعمران

خشبة عجيبة

بقلم حضرة الخوري رافائيل البستاني في مدرسة الحكمة

عودٌ من الخشب المجفَّف أنضرا وزكا بأصلاد الجلاجد مزهرا
غرسَتْهُ كفُّ الله في صخر على يفـــح باورشليمَ في اعلى الذُرى
هطلت عليهِ سحائبٌ خمسٌ بها ينبوعُ امواه الحيـاة تفجَّرا
امرٌ عجابٌ امرُ عودٍ يابسٍ اضحى لدُنْ رَويَ احمرارًا اخضرا
عودٌ مضى عشرون قرناً وانقضت وهو النضيرُ ولن يهابَ الادهرا

كم حاولت احرقَـهُ اعداؤه ففـدوا وَقُودًا للظى متسعرا
وتحوّلت نيرانُهم وضرامُهـا خصباً واقبالًا وغيثاً ممطرا
ولكم توالت عُصبةٌ سريّةٌ كالشمس تبغي ان ترجَّ المشفرا
فعظامها نخِرَت وادركها البلى يبلى الحديد وعودُنا لن يُنخرا

* * *

لله عودٌ ما أجلَّ صنيعَهُ اولى العقولَ تعجُّبـاً وتحيُّرا
عودٌ به عَرَكٌ(١ ضعافٌ اخضعوا شُمَّ الانوف ولم يقودوا عسكرا
نفرٌ اذلَّ نفوسَهم إمـلاقُهم (٢ ووضوعُ حرفتهم انالهمُ آزدرا
لم يملكوا الّا شباكاً رُقّعت ومخاصـاتٍ قواربٍ والمئزرا
قومٌ من الأزماع (٣ لاحسبٌ لهم والجهلُ فيهم قد بـدا متصدّرا
رامـوا افتتاح بسيطةٍ فتأهّبوا بتجرُّدٍ عمـا يُعَـدُّ ليتهرا
نهجوا مناهج انكرتها حكمةٌ بشريّةٌ وسياسـةٌ في ذا الورى
« فاذا اراد الله فعـلًا باهرًا جعل العسيرَ من الامور ميسّرا »
« لو شاء لاصطاد البغاثُ قشاعةً ولراع ظبيٌ في العرين غضنفرا »
فتقلّدوا الوردَ الحقير وقد مضوا ومسيرُهم في الارض يوصل بالثرى
وتفرّقوا فيهـا لكيما يظفروا والناس تجمع شملَها كي تظفرا
ذهبوا ولا ذهبٌ ولا ذخرٌ ولا ما يجعل النجحَ العظيم مقدّرا
يتقنّع الغازون في شِكَكٍ وهم وجـدوا الدروع بعُودهم والمغفرا
والفاتحون يهـدّدون بصارمٍ ويبطش جبّارٍ عتا وتكبّرا
ولقد نراهم اخضعوا الدنيا لمن كالملصّ بات على الصليب مسمّرا
يَبِدُ الغزاةُ الخاضعين لسيفهم بنوال ما فيهِ السرور توفّرا
وصراخُهم ملأَ الفضاء محرّضاً : «صوموا وتوبوا واحذروا شرَّ الثرا»
قد احرزوا النصر المبين وانما بمساتهم وعجائبٍ لن تُنكرا
نصروا بأسرهم قلوباً حرّةً ولكمْ صنيعُ المكرمات استأسرا

---

١) عَرَك جمع عركيّ وهو صيّاد السمك
٢) الاملاق الفقر ٣) الازماع الخاملون

* * *

فله من قوم مُراة ألبسوا ... م الدنيا قشيبَ رداء فضل ازهرا
جهلاء أميُّون الحم نُطقُهم ... حكماء يونانٍ وندوةَ قيصرا
قد هالهم بالامس جاريةٌ فما ... اضحوا وإلّا مثل آساد الشرى
لم يرهبوا ظلماً ولا ضرباً ولا ... سجناً ولا موتاً زؤاماً احمرا
بدأوا بكبح نفوسهم ثمَّ أنبَروا ... متدرّعين حقائقاً وتصبُّرا
قهروا الجحيم فاحرزوا فوزاً على ... جند الضلال ولم يسلُّوا خنجرا
ظفروا باجناد الغواية والخنى ... وعلى عدوّ في القلوب تستّرا
غرسوا باصقاع البسيطة عودَهم ... فنما وازهر بالمحاسن مثمرا
بسقت بسوقاً مدهشاً افنانهُ ... تزري بارياح تهبُّ لتهصرا
وامتدَّت الاغصان في شرقٍ وقد ... جازت الى غرب البلاد الابحرا
اثارها اعلى واقصى منزلاً ... من ان يُعدَّ جميلها او يُحصرا . . .

* * *

يا أيُّها العودُ الرفيع مقامُهُ ... منك الفضيلة والسماح تحدَّرا
كم رامَ دفنك تحت ردم كنيسة ... انصارُ بُطلٍ فارتنعتَ مظفَّرا
فلكم نزى كسرى تكسّر سهمُهُ ... في نحره او قيصراً قد قصَّرا
كسّرتَ يا خشبُ الحديدَ من الألى ... رسفوا بهِ متململين تضوُّرا
ستظلُّ عوناً للعباد ومرشداً ... ومغيث مظلومٍ اتى مستنصرا
قد كنتَ عاراً في زمانٍ غابر ... فغدوت مجداً للملوك ومفخرا

* *

يا من منحتَ المعجزاتِ خُشيبةً ... انت المراد ولستُ اعني آخرا
فلقد جعلتَ الارضَ مُلكاً والقلوبَ ... أريكةً وذوي الفضائل أذخُرا
والبرَّ والحسناتِ جنداً ظافراً ... يسبي نفوساً عبدةً ليُحرِّرا
بالسلم لا بالحرب دوَّخت البلا ... دَ وما كسرتَ بل اتحدرتَ لتجبرا
فحصونك الشمُّ المنيعةُ بيعةٌ ... تُردي الذي يبغي الحصار تحسُّرا
سفرازك البلقاء اسفارٌ بها ... وجهُ الهداية والحقائق أسفرا

وسلاحك الماضي براهينٌ زرتْ بشفار ابيضَ مرهفٍ او اسمرا
قوّادك الابطال قُيّدَ قلبُهم بقيود حبّك رغبةً وتحيُّرا
عجباً لقوّادٍ ابوا ان يركبوا الّا المخاطرَ والعناء ومنبرا
حملوا على نُوَب الزمان فاكسبوا اسرى البلايا والشقاء تحرُّرا

* * *

يا من نزلتَ لتمتلي فامدُدْ يداً بمعونةٍ كيلا نضلَّ ونعثرا
واسكب غيوثك في نفوس الحقلت بسموم أهواء القلوب فتنضرا
جدّدْ وأنجز وَعْدَ قسطنطين اذ خاطبتَهُ : «خذ ذا الشعار فتُنصرا»
هَبْنا انتصاراً في حروب قاومنا لننال مجداً قامعين المنكرا
فنعيش في أرَج الفضائل والتقى فيفوح مسكُ ختام عمرٍ اذفرا

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانية في لغة عرب الجاهلية (تابع)

السماء والجحيم وما فيهما

كما اقتبس عرب الجاهلية معارفهم عن الحقّ سبحانهُ وتعالى من نور النصرانيّة ودُعاتها خصوصاً كذلك يجب القول انهم عرفوا الآخرة بفضلهم وان امكنهم ان يستعيروا شيئاً منها من اليهود الّا انّ اليهود كما سبق لنا القول كانوا متزوين في بعض انحاء جزيرة العرب ولم يختلطوا مع اهلها الّا اختلاطاً يسيراً على خلاف النصارى الذين رأيناهم في ما مرّ ساكنين في كلّ اقطار العرب لا يخلو منهم حيّ واحد فلا عجب ان يكونوا بثّوا تعاليمهم في دار الخلود بين اهل البادية والحضر كما نشروا تعريفهم للخالق عزّ وجلّ

(السماء) معلوم انَّ السماء مقام الله حيث يتجلّى للابرار وحيث يقيم في خدمته ملائكة متزّهون عن الهيولي . . . وقد مرّت لنا ابيات لاميَّة بن ابي الصلت وصف فيها تلك السماء العليا . فلا حاجة الى تكرارها وانَّما نضيف اليها قولهُ في الدارين :

دارٌ دعاها ثمَّ أعمرَنا بها واقام بالاخرى التي هي امجدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً :

فأمَّ سنًّا فاستوتْ أطباقُها وأتى بابنهِ فأتى تُوردُ

وتُدعى السماء ايضاً بجنَّة الخلد وبالفردوس وجنان عَدْن . قال اميَّة بن ابي الصلت :

ربّي لا تحرمنّي جنَّةَ الخُلد م وكن ربّي بي رؤوفاً حفيّاً

وقال حكيم بن قبيصة يخاطب ابنهُ بشراً (في الحماسة ed. Freytag, ٧٩٢) :

فما جنَّةُ الفردوس هاجرتَ تبتغي ولكن دعاكَ الخبزُ والتمرُ احسبُ

ومثلهُ لحسّان بن ثابت (تاج العروس ٤ : ٤٠٥) :

وانَّ ثواب الله كلَّ موحّدٍ جنانٌ من الفردوس فيها يخلّدُ

وقال النابغة (المخصّص لابن سيده ٩ : ٥٦) :

فلامُ الاله يندو عليهم وفيُوء الفردوس ذات الظلالِ

وللسماء في الشعر القديم اسماء غيرها منها برْقع وعدن ونعيم قال اميّة بن ابي الصلت (المخصّص ٩ : ٦) :

وكأنَّ برْقعَ والملائكُ حولها سَدِرٌ تواكَلَهُ القوائمُ اجردُ

وجاء في عَدْن له ايضاً :

جهنمُ تاركٌ لا تُبقي بنيّاً وعَدْنٌ لا يطالُها رجيمُ

وقال في النعيم :

لم يُخلَق السماء والنجومُ والشمسُ مما قدَّرَ يقومُ
قدَّرهُ المهيمن القيّومُ والحشْ والجنَّةُ والنعيمُ
الّا لأمر شأنهُ عظيم

وسماها ايضاً دار صِدْق قال :

وحلَّ المتّقون بدارِ صدقٍ وعيش ناعم تحت الظلالِ
لهم ما يشتهون وما تمنّوا من الافراح فيها والكمالِ

(الملائكة) واخصُّ ما في السماء الملائكة . ومعلوم ان ذكر الملائكة لم يمكنهُ

ان يتّصل الى العرب الّا بطريقة وحي سابق ودين شاع فيه المعتقد بوجود الملائكة كالنصرانيّة . وقد احسن اميّة في وصفهم فقال :

يتنابهُ المتنصفون بسجرةٍ في الف الف من ملائكَ نُحشَدُ
رسلٌ يجيبون السماء بأمرهِ لا ينظرون ثواء من يتقصّدُ
فهمُ كأوب الريح بينا أدبرَتْ رجعت بَوادي وجهها لا تُكرَدُ
حذفٌ مناكبهم على أكتافهم زفٌّ يزفُّ جم اذا ما استنجدوا
واذا تلاميذُ الاله تعاونوا غلبوا ونشّطهم جناحٌ ممتدُ
خضوا باجنحةٍ فلم يتواكلوا لا مبطئٌ منهم ولا مستوغدُ

ولهُ من قصيدة اخرى :

ملائكةٌ اقدامهم تحت عرشهِ يكنّيهِ لولا الله كلّوا وابلدوا
قيامٌ على الاقدام عانينَ تحتهُ فرائصهم من شدّةِ الخوفِ تُرعَدُ
وسبطٌ صفوفٌ ينظرون قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوحي ركّدُ

وهناك قد ميّز طبقات الملائكة واشار الى عددهم ومختلف اعمالهم ورتبهم كالكروبيم والحرّاس وصرّح باسماء بعضهم كجبرئيل وميخائيل قال :

امينٌ لوحي القدس جبريلُ فيهم ومكالُ ذو الروح القوي المسدَّدُ
وحرّاسُ ابواب السماوات دونهم قيامٌ عليها بالتالد وُصّدُ
فهم العبادُ المطهّرون لأمرهِ ومن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنّدُ
ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسجّدُ
فاحدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسهُ يعظّم ربّاً فوقهُ ويمجّدُ
وراكعهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعاً يردّدُ آلاء الاله ويحمدُ
ومنهم ملكٌ في الجانحين رأسهُ يكاد لذكرى ربّهِ يتفصّدُ
من الخوف لا ذو سأمةٍ بعبادةٍ ولا هُوَ من طول التعبّد يجهدُ
ودون كثيف الماء في غامض الهوا ملائكةٌ تنحطُّ فيهِ وتصعدُ
وبين طباق الارض تحت بطونها ملائكةٌ بالامر فيها تردّدُ

وانشد الكسائي لعلقمة بن العبد يمدح الحارث بن جبلة . وتروى لشاعر من عبد القيس يمدح النعمان وفيها ذكر الملئكة (راجع التاج في مادّة ملك . وشرح بانت سعاد لابن هشام ed. Guidi, p. 42) :

تعاليتَ ان تُعزى الى الانس خلّةٌ وللإنس من يزوكَ فهو كذوبُ
قلتَ لإنسيٍّ ولكن لِملأكٍ تنزّلَ من جوّ السماء يُصوّبُ

ولاميّة ايضاً في الملائكة الموكلين بالمخلوقات السفلى قولهُ (اساس البلاغة ٢ : ١٦٦) :

وتحت كثيف الماء في باطن الثرى ملائكةٌ تنحطُّ فيه وتسبحُ

وقد كثُر ذكر الملاك جبرائيل في الشعر القديم . قال عمران بن حطّان :

والروح جبريلُ فيهم لا كفاء لهُ وكان جبريلُ عند الله مأمونا

وقال حسّان بن ثابت (ديوانهُ طبعة ليدن ed. Hirschfeld, p. 42) :

يا حارِ في سِنَةٍ من نومِ ادّلكم ام كنتَ ويحك منذرًا بجبريل

وقال ايضاً (ib. ١) :

برجالٍ لستُ أمثالهم أيّدوا جبريلُ نصرًا فنزلْ

وقد لقّبهُ حسّان في محلّ آخر بالروح القدس (ib. p. 2) :

وجبريلٌ امينُ الله فينا وروح القدس ليس لهُ كفاء

ويروى : « رسول الله » . وكذلك ذكروا الملاك ميخائيل ودعوهُ ميكال قال ورقة بن نوفل :

وجبريلٌ يأتيهِ وميكالُ معهما من الله وحيٌ يشرح الصدرَ مُنزّلُ

وذكروا من طغمات الملائكة الكروبيّة وهم الكروبيم وصفهم في تاج العروس « بسادة الملائكة والمقرّبين الى حَمَلَة العرش » . كقول اميّة بن ابي الصلت السابق ذكرهُ (التاج ٢ : ١٥٤) :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجّدُ

وقال في السارفيم ودعاهم بالسرافيل (كتاب البدء للمقدسي ed. ١٦٨ : ١ Huart) وعجائب المخلوقات للقزويني (ص ٥٦ ed. Wüstenfeld,) :

حُبس السرافيلُ الصوافي تحتهُ لا واهنٌ منهم ولا مستوغِدُ

ومما وصفه شعراء الجاهليّة في السماء عرشُ الله الذي تكرّر ذكرهُ في الاسفار المقدّسة من العهدين العتيق والحديث . ومن البديهي انّ عرش الله ليس شيئاً هيولياً مجسّماً وانّما المراد بهِ عزّتهُ تعالى وثباتهُ . قال اميّة وهو غير ما سبق لهُ (الاضداد لابن الانباري ص ٥١)

ملكٌ على عرشِ السماء مهيمنٌ تعنو لعزّتهِ الوجوهُ وتسجدُ

وقال ورقة بن نوفل (الاغاني ٣ : ١٤) :

سبحان ذي العرش سبحانًا يعادلهُ ربُّ البريّة فردٌ واحدٌ صمدُ

ويروى: « سبحاناً يدوم لهُ . وسبحاناً يعود لهُ » . ومثل العرش السرير قال اميّة (كتاب البدء والتاريخ للمقدسي ١ : ١٦٥) :

مجّدوا الله فهو للمجد اهلٌ ربُّنا في السماء امسى كبيرا
بالبناء الاعلى الذي سبق الخلـ ـق وسوّى فوق السماء سريرا
شرجعاً ما يناله بصرُ العـ ـبدِ ترى دونهُ الملائك صُورا

فالشرجع الخشبة المربّعة الطويلة وهي ايضاً العرش والسرير

(جهنّم) ليست معرفة شعراء الجاهليّة بجهنم وعذابات الهالكين ووجود الشياطين دون معرفتهم بالسماء واهلها . قال كعب بن مالك في وصف جهنم (اتقان علوم القرآن للسيوطي ١ : ١٥٨) :

تَلَظّى عليهم حين أنّ شدَّ حَبْلُها بزُبَر الحديدِ والحجارة ساجرُ

وقال اميّة بن ابي الصلت (فيه ١ : ١٥٩) :

فأُركِسوا في حميم النار أنّهمُ كانوا عُتاتاً يقولون الكذب والزورا

ويروى: « في جهنم انهم كانوا عصاة » . وقال وقد اجاد في بيان حال الهالكين (شعراء النصرانيّة ١ : ٢٢) :

وسيقَ المجرمون وهم عُراةٌ الى ذاتِ المقامع والنكالِ
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً وعجّوا في سلاسلها الطوالِ
فليسوا مبتئين فيستريحوا وكلّهمُ ببحر النار صالِ

وقال فيهم (خزانة الادب ٢ : ٤٦٣) :

فهم يَطفَون كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ

وقال النابغة الجعديّ مستغفراً وطالباً النجاة من جهنّم (خزانة الادب ٤ : ١)

يا مالك الارض والسماء ومن يَفْرَقْ من الله لا يَخَفْ إثما
اني امرؤ قد ظلمتُ نفسي وإلا م تَعْفُ عني اغلا دماً كنا
أطرَحُ بالكافرين في الدرك م الاسفل يا ربِّ أصطلي الضَّرما

وقال اميّة بن ابي الصلت يذكر الابرار ونعيمهم والاشرار وجحيمهم :

هما فريقانِ فرقةٌ تدخلُ م الجنّةَ حفّت جم حدائقُها
وفرقةٌ منهم قد أُدخلت م النار فساءتهمُ مرافقُها
لا يستوي المنزلان ثمَّ ولا م الاعمالُ لا تستوي طرائقُها

وكما جعلوا الملائكة في السماء كذلك عيّنوا جهنّم لابليس وفرقته من الشياطين

والجنّ الذين هبطوا من السماء بخطيئتهم فاخذهم الله بعصيانهم . قال امية (لسان العرب ١٥: ٤٠٩):

وفيها من عباد الله قومٌ ملائكُ ذُلّلوا وهمُ صعابُ

وقال امية ايضاً ودعا الشيطان شاطناً (اللسان والتاج والصحاح في مادّة عكا):

أيا شاطنٌ عصاهُ عكاهُ ثمّ يُلقى في السجن والاغلالِ

ودعاهُ عديّ بن زيد ابليساً (تاريخ العصامي سمط النجوم العوالي ص ١٩):

وأهبطَ ابليسًا وارهدَهُ نارًا تَلهَبُ بالإسعار والشَّرَر

وقال امية بن ابي الصلت:

وترى شياطينًا تروغُ مُضاعةً ورَواغها صِيرٌ اذا ما يُطرَدُ
تُلقى عليها في السماء مذلّةٌ وكواكبٌ تُرمى بها فتَمَرَّدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً:

فأتمَّ سبعًا فاستوَتْ أطباقُها وأتى بآيةِ فأتى تُورَدُ

وقد كثر في الشعر الجاهلي ذكر الدينونة والحساب وما يتبعهما من ثواب او عقاب قال زهير بن ابي سلمى في معلّقته يتهدّد المنافقين بالدينونة:

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومَهما يُكتَمِ اللهَ يَعلَمِ
يؤخَّر فيوضع في كتاب فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعجَّل فيُنقَمِ

وقال امية بن ابي الصلت:

يوقَفُ الناسُ للحساب جميعًا فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدُ

وقال النابغة الذبياني يذكر معتقد بني غسّان بالدينونة:

فلا يحسبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدَهُ ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ

وقال لبيد (ديوانه ص ٢٨ . ed. Huber):

وكلُّ امرئٍ يومًا سيُعلَمُ سَعيُهُ اذا كُشفت عند الاله المحاصلُ

ويروى في المخصّص (١٢: ٧١): «اذا حصلت عند الاله الحصائل». وروى السيوطي لأُميّة بن ابي الصلت (في اتقان علوم القرآن ١: ١٥٨)

ولا يوم الحساب وكان يومًا عبوسًا في الشدائد قمطريرا

وقال امية ايضاً (فيه. وفي الاغاني ٣: ١٢٩):

انّ يوم الحساب يومٌ عظيمٌ شابَ فيهِ الصغيرُ شيبًا طويلا
ليتني كنتُ قبل ما بدا لي في قلال الجبال ارعى الوعولا

كلّ عيشٍ وان تطاول دهرًا منتهى امرهِ الى ان يزولا
وأجلِ الموت نصب عينك واحذرْ غولة الدهر انّ للموت غولا

وقال ايضاً (خزانة الادب ٤ : ٧) :

لا تخالطنّ خبيثات بطيبة واخلِ ثيابك منها وانجُ عريانا
كلّ امرئٍ سوف يُجزى قرضهُ حسنًا او سيئًا ومدينًا كالذي دانا

وهم يذكرون مع الدينونة والحساب يوم الحشر وبعث الاجساد وقيامتها من قبورها وجزاء العالمين الاخير . قال اميّة ووصفهُ تعالى بالباعث للموتى :

الوارثُ الباعثُ الاموات قد ضمنت ايّامُ الارض في دهر الدهاريرِ

وقال قس بن ساعدة (الشريشي ٢ : ٢٠٥ ومحاضرات ابن العربيّ ٢ : ٦٧٠ وكتاب المعمّرين لابي حاتم السجستاني ص ٧٦) :

يا ناعيَ الموتِ والاموات في جدثٍ عليهم من بقايا خزّهم خرَقُ
دَعْهم فانّ لهم يومًا يُصاح بهم فهم اذا انتبهوا من نومهم فُرُقُ (١
حتى يعودوا بحالٍ غير حالهمِ خلقًا جديدًا كما من قبلها خُلقوا
منهم هراةٌ وموتى في ثيابهمِ منها الجديد ومنها الأورق الخلَقُ

وقال عبيد بن الابرص يذكر القيامة (خزانة الادب ١ : ١٦٠) :

انت المليكُ عليهمِ وهم العبيدُ الى القيامَهْ

وقال اميّة ولهُ السهمُ الافوز في وصف الدينونة وذكر ايضاً العرش وميزان الحساب والزُّبُر اي الاسفار المقدّسة التي اوحى بها الله لهداية العالمين (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) :

ويومُ موعدهم ان يُحشَروا زُمَرًا يومُ التغابُنِ اذ لا ينفع الحَذَرُ
مستوسقينَ مع الداعي كأنّهمُ رجلُ الجرادِ رقتْهُ الريحُ تنتشرُ
وأُبرِزوا بصعيدٍ مستوٍ حرزٍ (٢ وأُنزل العرشُ والميزانُ والزُّبُرُ
وحُوسبوا بالذي لم يُحصِ احدٌ منهم وفي مثل ذاك اليوم مُعتبَرُ
فنهمُ فَرِحٌ راضٍ بعيشهِ وآخرون عصَوْا مأوامرَ الستَرُ
يقولُ خُزّانها : ما كان عندكمُ ألم يكُنْ جاءكم من ربّكم نُذُرُ
قالوا : بلى قبّحتْ قتيةٌ بطروا وغرّنا طول هذا العيش والعُمُرُ
قالوا : امكثوا في عذاب الله ما لكمُ الّا السلاسلُ والاغلالُ والسَّعَرُ
فذاك عيشهمُ لا يبرحون بهِ طول المقام وان ضجّوا وان ضجروا

---

١) وروى الباقلاني في اعجاز القران (ص ٢٢) : كما ينبّهُ من نوماتهِ الصَّعِقُ
٢) كذا في الاصل . والصواب تَرِزٍ . يقال ارض تَرِزٌ وتَرِزَ وتُرِزَ اي مُجدبة

وآخرون على الأعراف قد طمعوا بجنّة حفّها الرمّانُ والخضَرُ
انّ الانامَ رعايا الله كلهمُ هو السَّبيطرُ فوق الارض مُقتدرُ

وهو القائل ايضاً في وصف الجحيم والنعيم (المقاصد النحوية في هامش خزانة الادب ٢ : ٣٤٦ ومنتخب ربيع الابرار Ms Wien, ff 16v)

سلامتك ربّنا في كلّ فجرٍ بريئاً ما تلبّقُ بك الذمومُ
عبادُك يخطئون وانت ربٌّ بكفّيكَ المنايا والحتومُ
غداةَ يقولُ بعضهمُ لبعضٍ ألا يا ليت امّكمُ هتيمُ
فلا تدنو جهنّمُ من برئٍ ولا عَدْنٌ يحلُّ بها الاثيمُ
فهم يطفونَ كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ
جهنّمُ تلك لا تبقي بنيًّا وعَدْنٌ لا يطالبها الرجيمُ
فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها ولا حَنَثٌ ولا فيها مُليمُ
اذا بلغوا التي أُجروا اليها تغيّلهم وصُلّل مَن يصومُ
وخُفّفَت النذورُ واردفتهم فضول الله واتمت القسومُ

فهذه الاوصاف كلها لا تُرى في غير الاسفار المقدسة التي كانت في ايدي النصارى فاخذها عنهم شعراء العرب قبل الاسلام. ولاميّة المذكور ابيات ذكر فيها انتظار البشر ليوم الدينونة وظهور المسيح ليدين العالم (كتاب البدء ٢ : ١٤٥) :

والناسُ راثَ عليهم امرُ ساعتهم فكلّهم قائلٌ للدين أيّانا (١
ايّامَ يلقى نصارام مسيحَهمُ والكائنين لهُ وِدًّا وقربانا (٢
م ساعدوهُ كما قالوا إلههمُ وارسلوهُ يريد الغيث دسّانا (٣

ومعلوم في معتقد المسلمين انّ السيّد المسيح (عيسى) هو الذي ينزل في آخر العالم ليدين العالمين. فكفى بهذه الشواهد دليلًا على انّ كل الالفاظ الواردة في القرآن والحديث عن الدينونة واحوالها قد سبق اليها اهل الكتاب في الجاهلية كما سبقوا الى اسماء الله الحسنى (لهُ بقيّة)

---

١) راثَ اي تأخّر. يريد ان الناس يكونون في انتظار الساعة فيقول بعضهم لبعض أيّانا اي متى يحلّ يوم الدين

٢) كذا في الاصل. ونظنّ ان الصواب « الكائنين » اي الماضين

٣) الدسّان المرسل. يريد انّ المسيح تقدّمهم كالرائد الذي يتبع الكلأ. ولعلّ في هذا اشارة الى قول السيّد المسيح في انجيل يوحنّا (١٤ : ٢) « اني ذاهب لاعدّ لكم المكان ». وفي كتاب البدء : وارسلوهُ كسوف الغيب. وفي اللسان : يسوف الغيثَ

الصاعقة

للاديب فريد افندي نمرا من طلبة المكتب الطبي الفرنسوي

انَّ صوت الصاعقة اكثر ما يُسْمع في سواحل الشام ولبنان في الثلثة الشهور الاولى من السنة . فلا بأس ان نذكر شيئاً عن هذه الظاهرة الجوّيَّة التي تعمَّق العلماء في درسها في هذه السنين الاخيرة وابدوا فيها ملحوظات جديدة تفيد معرفتها

١ مقدَّمات في كهرباء الارض والهواء

الارض احد الاجرام الموصلة للكهرباء . فالكهرباء المنبثَّة فيها تنتشر على وجهها . والهواء على خلاف ذلك اذا تكهرب حفظ كهربائيَّتهُ وعزَلها . امَّا الجلَد فهو مجال للمظاهر الكهربائيَّة التي تحصل بامتزاج كهربائيَّتي الارض والهواء

واوَّل ما ينبغي البحث عنهُ في هذا الامر تعريف اصل كهرباء الارض والهواء . من اين تكهربهما ؟ لم يتَّفق العلماء في بيان ذلك . فمن المحتمل انَّ الارض لمَّا كوَّنها البارئ اودع فيها كيَّات كهربائيَّة حفظتها مكنونةً في جرمها منذ انفصلت في الجوّ عن غيرها من الاجرام العلويَّة . وهذه الكهرباء الارضيَّة غالباً سلبيَّة

وللارض مورد آخر من الكهرباء نزيد بهِ المظاهر الجوّيَّة التي تحدث في الهواء فمن ذلك ما يولدهُ التبخُّر من الكهرباء . ومنها الكهرباء التي تصيب الارض بالمطر فقد لحظوا انَّ الماء اذا تفرَّق في الجوّ استعار من الهواء قسماً من كهربائتهِ السلبيَّة واغنى بها الارض عند هطلانهِ . ويحدث مثل هذا في الشلَّالات التي تتحدَّر من الجنادل العليا فيتفرَّق ماؤها وتتساقط على صورة نُقَط ماء دقيقة تتكهرب سلبيًّا بمسيسها الهواء وتزيد كهربائيَّة الارض بسقوطها عليها

وكما الارض كذلك الهواء لهُ كهربائيَّتهُ التي هي ايجابيَّة في الغالب وقد اتَّخذوا مقاييس مختلفة لتعريف كنيَّة كهرباء الجوّ وافضلها ان تتَّخذ قضيباً من حديد كالسنُّود وتوصلهُ بمقياس الكهرباء المسمَّى الكتروميتر فرأس القضيب المحدَّد يحلل كهرباء الجوّ فيمد الكهرباء المجانسة لكهرباء الالكتروميتر ويجذب الكهرباء

المخالفة لهُ فهذه الكهرباء تجري الى المقياس فيدلُّ ابرتهُ عليها بكل تدقيق وبذلك تُعرف كميَّتها

على انَّ كهربائيَّة الارض وكهربائيَّة الهواء يحدث فيهما بعض اختلاف في الانواء الجوّيَّة ولا سيما عند حصول الغيوم فالغيوم على حسب طبقاتها تتكهرب تارةً بكهرباء الارض السلبيَّة وتارة بكهرباء الهواء الايجابيَّة وربَّما اختلفت فيها الكهرباء من ساعةٍ الى اخرى بل في دقيقتين او ثلاث دقائق من مكان الى آخر على مقتضى سرعة سير هذه الغيوم وهبوطها وارتفاعها كما تحقَّقوهُ بامتحانات متواترة بواسطة الطيَّارات وغيرها وذاك ما يُعرَف بالتكهرُب بالنفوذ (électrisation par influence) وبهِ تُدرَك خصوصاً الظواهر الجوّيَّة من برق ورعد وصاعقة

فافترضْ انَّ غيوماً تكوَّنت في الجوّ فمنها ما يبقى عالياً في الجلَد فيتكهرب بالكهرباء الايجابيَّة ومنها ما يمرُّ على الارض فيكاد يمسُّها فيتكهرب بكهربائيَّتها السلبيَّة فاذا هبَّت الريح وتلاعبت بهذه الغيوم ذات الكهربائيَّة المختلفة احتكَّت ببعضها وباحتكاكها حصلت تلك الظواهر بقوَّة اضعف او اشدَّ حسب كميَّات الكهرباء التي فيها فيكون البرق خفيفاً او مستطيلاً ويحدث رَعْد او لا يحدث بموجب قوَّة اصطكاك الغيوم ببعضها وربَّما رُؤي البرق البعيد دون ان يُسمَع صوت رعده على حسب بُعد المسافات

٢ البرق

البرق ظاهرةٌ مضيئة تحصل في الجوّ وقت حدوث الانواء والزوابع . وهو خطٌّ منير ابيض اللون غالباً ذو بهاء ساطع يحدث على صور شتى غير قياسيَّة

وكان الرأي المتغلِّب سابقاً عند العلماء ان البرق شرارة كهربائيَّة تتقد عند تلاقي غيوم مكهربة بكهرباء مختلفة او بين الغيم المتكهرب وأثر آخر على وجه الارض يكهربهُ ذاك الغيم بنفوذه

بيد انَّ هذا الرأي قد أُهمل اليوم بعد ان قاسوا طول البُروق التي يقيس البعض منها نحو عشرين كيلومترًا طولًا فلا يمكن القول بانَّ شرارةً كهربائيَّة تمتدُّ امتدادًا كهذا . وزد على ذلك انَّ الغيم ليس هو موصلًا متابعاً اذ هو يتركَّب من نُقط

مائيَّة دقيقة هي منبثَّة في الهوا ومنفصلة عن بعضها فيتخلَّلها الهواء الرطب . والرأي الغالب اليوم انَّ البرق سياق شرارات متعدِّدة تنتشر في الجوّ بين نقط ماء الغيم سائرةً من نقطة الى غيرها كما تجري شرارات الكهرباء في صنعة زجاج تُلصَق عليها شذور القصدير

وقد ميَّز الفلكي اراگو ضروباً من البرق جمعها في ثلاثة اقسام فنظم في القسم الاوَّل البروق التي تلوح للعين على شبه خطّ ذي اطراف محدَّدة تتفجَّر بسرعة ويراها الناظر كالثُّلَم المخدَّدة ثمَّ البروق المتكسِّرة الخطوط يميناً وشمالاً (éclairs en zigzags)

امَّا القسم الثاني فخصَّهُ بالبروق الصفحيَّة التي تنير الغيوم امَّا على جوانبها وامَّا على بسطة صفحتها ويختلف لون هذه البروق فتكون حمراء او ضاربة الى الزرقة او مائلة الى اللون البنفسجيّ . وهذه البروق اشبه ببعثات من النور المتفجِّر من بعض ادواتنا الكهربائيَّة . ولعلَّها هي كالبروق المذكورة في القسم الاوَّل وانَّما هي محجوبة بالغيوم . والبعض من بروق هذا القسم الآخر تُرى على شكل الاشجار وغيرها تظهر كحبوب السبحة او تلمع كالجواهر المتلألئة المتفرقة على بساط كبير على شكل الشرارات التي تحدثها بعض المجاري الكهربائيَّة المتواترة في صفيحة نديَّة

وقد خصَّ اراگو القسم الثالث بالبروق الكرويَّة وهي بروق تُرى على شكل كرة من نار تسير في الهواء سيراً ليِّناً ثمَّ تنفجر متفرقعةً . وقد ارتاب البعض في صحَّة وقوعها لكنَّ الشهود على معاينتها كثيرون وان لم يعرف العلماء حتى الآن كيفيَّة حصولها . وما لا ينكر ان المراقبين للبرق رأوا هذه الكرات النارِيَّة على كبر رأس الانسان في وقت الزوابع وكانت كأنَّها تدور على وجه الارض بسرعة خفيفة لكنَّها كانت تتوارى بعد بضع من الثواني تارةً على لجأة دون ان يبقى منها اثر وتارةً بعد انفجارها وفعلُها فعلَ الصاعقة

وقد وصف اراگو حادثاً جرى لهُ شخصيًّا قال : «بينما كنتُ جالساً الى مكتبي ونافذة غرفتي منفتحة قليلاً واذا بكرة ناريَّة لاحت لي في وسط الجوّ المغيم القاتم فرأيتها سائرةً على هدوء حتى صارت فوق شجرة فانفجرت انفجار الصاعقة . ولا إخال انِّي خُدعت معاً ببصري واذني مع الفترة الحاصلة بين ما رأيتهُ وما سمعتهُ »

على انَّ غيرهُ من العلماء لا يسلّمون بصحّة هذه الحوادث او يعلّلونها تعليلهم لبعض المظاهر النوريّة في شبكيّة العين اذا رأت نورًا شديد اللمعان . وقد سلّم غيرهم بصحّتها وجعل هذه الكُرة النوريّة بمثابة كُريّات صغيرة تلوح بفعل قطبَي بطاريّة قوّتها من ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ مقياس كهربائيّ (Volts) في سطح بعض الموانع . ولعلّ العلم يزيدنا ايضاحاً في سببها عمّا قريب

والبرق سرعة غريبة لا يكاد القياس ان يثبتها واوّل من حاول تدوين مدّته العلّامة اراگو الموما اليه فانهُ اتّخذ فُلكةً (disque) سوداء رسم عليها مئة دائرة بيضاء على ابعاد متساوية ثمَّ أدارها بسرعة مئة دورة في الثانية بحيث كانت كلّ دائرة تمرُّ امام العين مرَّة في كلّ عُشر من الف ثانية بعد اختها . ثمَّ عرض تلك الفلكة لضياء البرق في ليلة مبرقة مرعدة ليستدلّ بها على مدّة دوام البرق فان كانت مدّة البرق تدوم عُشرًا من الف ثانية او اكثر من ذلك كان المنتظر ان تختلط الدوائر البيض فلا تشعر العين بالسواد الذي بينها وعلى خلاف ذلك اذا دامت زمناً اقل من عُشر الالف فان السواد بينها يلوح للعين . وفي الواقع هكذا كان فانَّ عينهُ رأت ذلك السواد فاستدلّ على انَّ البرق اذا خطف البصر لا يدوم عُشرًا من الف ثانية . والمرجّح اليوم انَّ دوامهُ لا يزيد على مئة جزء من الف الثانية

امّا تاوّيات البرق في الجوّ فتعليلها باختلاف احوال الغيوم التي تنشر الشرارة الكهربائيّة بينها لوجود بعض الاقسام التي هي ازيد ايصالًا لمجرى الكهرباء من غيرها

وان اراد الراقب أن يعرف المسافة التي بينه وبين البرق فليحصِ عدد الثواني التي تفصل ظهور البرق من وقت سماعهِ للرعد وليضرب هذا العدد بعدد ٣٣١ مترًا فالحاصل يدلُّهُ على تلك المسافة . والصموت لا يرى البرق حتى يصاب بغتةً بالصاعقة دون تمادٍ في الوقت

وفي اوربّة ظاهرةٌ اخرى لم نعهدها في بلادنا تعني بها بروق الحرارة فانّها كثيرة في فصل الصيف ويرونها في بعض الاحيان والسماء صافية لا يشوبها غيم . فهذه البروق انّما تدلُّ على حدوث انواء وزوابع في جهات بعيدة فان البلجكيين لحظوها في بلادهم اذ كانت الزوابع واقعةً في اواسط فرنسة . وربَّما كان السبب في

نظرها دون اثر ظاهر يدلُّ عليها استدارةَ الكرة الارضيَّة اذ تجري تلك الزوابع في بلاد اهبط موقعاً من غيرها فيرى البرق وحدهَ بانعكاس ضوئهِ في الجوّ

٣ الرعد

ليس الرعد سوى صوت انفجار كهربائيَّتين مختلفتين عند اصطكاكهما بسبب رجوع الهواء بغتةً الى الفراغ فان كان الناظر قريباً من مكان حدوث ذاك الانفجار سمع لهُ صوتاً باغتاً قاصفاً شديداً كصوت لغم او مدفع يُطلَق بقربهِ. اما اذا كان بعيداً عنهُ بُعْداً ما فيسمع لهُ دمدمةً يدعونها هزيم الرعد يمكن تعليلها باسباب شتى اوَّلها انَّ الانفجار المذكور لا يحصل في وقت واحد اذ شرارة الكهربائيَّة تتنقَّل من نقطة الى أُخرى على مسافات طويلة فيتتابع صوتها في اذن السامع . والثاني انَّ لهزيم الرعد اصداء في الاودية تردّد صوت الرعد من بعد وقرعهِ . ويمكن ان يضاف الى السببين المذكورين سبب ثالث وهو انَّ الرعد لا يحصل بطلقة واحدة من الكهرباء بل بطلقات متوالية فاذا حصلت الطلقة الاولى حدث اضطراب في الجوّ بسببها وتقاربت غيوم متباعدة فيحصل من اصطكاك هذه الغيوم طلقات ثانويَّة متعدّدة تتوالى ريثما يعود التوازن بين اجزاء الهواء

وهذه الاسباب عينها تبيّن كيف يسمع السامع في بعض الاحيان دويّ الرعد بالتدريج فيشتدُّ حتى يبلغ معظمهُ بطلقة تكون اشدّ واعظم من سواها يُعقبها دويّ ثانٍ يضعف شيئاً فشيئاً حتى يزول تماماً

اما المدَّة التي يلحظها الناظر مرارًا بين البرق والرعد فمن اختلاف الوقت بين انتقال النور والصوت فانَّ النور ينتقل بسرعة عظيمة تبلغ في الثانية ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر بخلاف الصوت الذي يقطع في الثانية ٣٣١ مترًا فقط ومن هذا القياس يمكننا ان نعرف بُعد الرعد والصاعقة عنّا كما سبق

٤ الصاعقة ومفاعيلها

كثيرًا ما يقصف الرعد في الجوّ بين الغيوم دون ان تصاب الارض باذاه ونكن يمكن انَّ الكهربائيَّة الجوّيَّة تقترب من الارض المكهربة سلبيًّا فتمتزج الكهربائيَّتان بقصيف شديد واذا وقع ذلك ببناء او معدن او شجرة او حيوان او

انسان صُعق وأُصيب باضرار شتى . واكثر ما يُصاب بالصاعقة ما كان مرتفعاً او محدَّد الرأس كالصروح والابراج وقمم الجبال والاشجار الباسقة ومن ثمَّ ينبغي الابتعاد من هذه الامكنة وقت الانواء لخطرها

ومما يجنب كهربائيَّة الجوّ الامكنة الرطبة والمدنيَّات وكلّ ما هو من الموصلات الجيدة للكهربائيَّة كالاسلاك التلغرافيَّة التي تتأثَّر جدًّا من كهربائيَّة الجوّ وربَّما انتقدت في هذه الاسلاك شرارات الكهرباء

وقد ترى في بعض الاحيان في البراريّ اشجاراً مصعوقة على انَّ بعض الاشجار يتأثَّر اكثر من البعض الآخر اما لجنس خشبها واما لاختلاف تعمُّق جذورها في الارض فالحور مثلاً اجنبُ للكهرباء من السنديان . والصاعقة اشدّ تأثيراً في الاجرام السيِّئة الوصل للكهرباء فانَّها تحطمها فتتطاير شعاعاً او تحرقها وتمحي آثارها

وكذلك المعادن اذا اصابتها الصاعقة عملت فيها على اختلاف اتِّصالها باجسام تحسن نقل الكهرباء او لا فان كانت المعادن على انسان او حيوان نزعت شعر جلده وجرَّدته من ثيابه لأن الشعر والثياب ليست موصلة للكهرباء اما الجلد فتحرقهُ وتحلل انسجتهُ وفعلها اسوأ في الاعصاب فانَّ الصاعقة ربَّما ضربتها بالفالج او افقدتها كلّ حس وحركة . وكذلك الحواسّ والمشاعر فانَّ بعض المصعوقين اصيبوا بالصمم او بالعمى ومنهم من كُسرت عظامهم او فسد دمهم فقُتلوا بفساده او بشلل الاعصاب

وقد لحظوا احياناً على جسم المصعوقين حروقاً مختلفة الشكل والهيئة . ومنهم من تتشنَّج جثتهم وترتعش كانهم ممنوُون بالكُزاز وفي الغالب تجمد اجسادهم وتبيس وتُرى على سطحها خدوش غريبة واغرب من ذلك انك ترى على اعضائهم تصاوير الاشياء التي ضُربوا بقربها

ومما تأكدوهُ ايضاً بالامتحان انَّ المصابين بالصاعقة يخزنون في جسمهم شيئاً من الكهرباء فاذا امسكهم احد شعر باهتزازها كما لو مسَّ آلةً مولدة للكهرباء

ومن المصابين من يُغمى عليه فقط فاذا افاقوا شعروا بجروق وبضربة قويَّة في الدماغ او بشلل في اعضائهم السفلى . ومنهم من يشعر ببرد قاوس في اليدين والرجلين

وبضيق شديد وغصّة مؤلمة . وان أُصيبت المرأة الحبلى سقط في الغالب حملها

اما علاج المصروق فبأن يُدلك جسمهُ دلكاً طويلاً او يُصبّ عليهِ الماء البارد ويُخنق وان ظهر عليهِ اثر الاختناق فيُعالج بجذب لسانهِ او يُنعَش بالاثير او بزيج يركّب من مئة قسم من الماء مع قسمين من زيت القرفة وعشرة غرامات من شراب السكّر . او ايضاً بثلاثين غراماً من النبيذ البنطينا مع صفرة البيض و٣٥ غراماً من الماء

وكان حقّنا ان نذكر هنا القضيب الذي تُتّقى بهِ الصاعقة والاسلاك التي يمتطقون بها البيوت لهذه الغاية غير انَّ المشرق سنة ١٩٠٠ (١٢٦:٣) سبق ونشر مقالةً وافية في ذلك لحضرة الاب موريس كونيجت استاذ الطبيعيّات في المكتب الطبيّ الفرنسويّ فنحيل اليها قرّاءنا

مطبوعات شرقية جديدة

Robert Bellarmin. Les Marques de la véritable Église, traduit par L. CRISTIANI. *Paris, Bloud et C^ie^*. 1912, pp. 64

مقالات بلرمينوس عن علامات الكنيسة

ليس بين التآليف العديدة التي وضعها الكردينال روبرت بلرمينوس اليسوعي (١٥٤٢—١٦٢١) اوسع شهرةً واعظم نفعاً من كتاب جدالاتهِ الذي وقع على ضلالات البروتستانت كطرقة دكّتها دكّاً وبيّنت فساد اساسها . وهذا الكتاب قد تكرّر طبعهُ في بلاد شتى لمنافعهِ الوافرة . ومع انَّ هذه المجادلات قد اتّسعت اليوم ووجد الكاثوليك ادلّة جديدة للدفاع عن معتقدات الكنيسة لا يزال كتاب بلرمينوس دستوراً حسناً يُرجع اليهِ ويُقتبس من انوارهِ لاسيما القسم المختص بعلامات الكنيسة الحقيقيّة اعني وحدتها وقدستها ورسوليّتها وكاثوليكيّتها اي انتشارها في كل العالم . فهذا القسم لحسن مضامينهِ قد احبّ المسيو كريستياني الحائز بدرجة اللمنة في اللاهوت ان ينقلهُ من اصلهِ اللاتينيّ ويطبعهُ على حدةٍ في مجموعة

المسيو بلود المروفة « بدرس العلوم الكنسية » وصدّره بترجمة مؤلفه الكردينال مع ذكر جدول مؤلفاته . واذ رأى في بعض ابوابه طولًا اختصرها دون مسّ جوهرها وذيّل الكتاب ببعض الملحوظات المفيدة . ولمّا كان يمكنه ان يتوسّع اكثر فيها لأنّ لبلّرمينوس مع سموّ فضله اراء لا تخلو من بعض الشذوذ فمن ذلك رأيه عن كاثوليكيّة الكنيسة فانّ بلّرمينوس ارتأى انّه يكفي لتحقيق هذه العلامة ان تكون الكنيسة الكاثوليكيّة انتشرت في العالم بتتابع الاجيال والرأي الغالب اليوم بعد الاكتشافات المتعدّدة التي وقف عليها الاثريّون يمكن اثبات جامعيّة الكنيسة في كلّ قرن بالنسبة الى غيرها من الاديان . فانّها كانت منذ المسيح الى يومنا ذاك الجبل الذي يراهُ الكلّ ويقصدهُ طالبو الحقيقة والنور الاب ج . لوفنك

I-ГО Курса: Arabskaja Xrestomatija, S^t *Pétersbourg*, 1912, pp. 104

منتخبات عربيّة مع معجم عربيّ مسكوبي

هذه المنتخبات جمعها صاحبها لافادة طلبة كليّة بطرسبورج افتتحها بحكم ثم اعقبها باحاديث لنبيّ المسلمين ثمّ ختمها بنوادر وحكايات وكلّ ذلك من تآليف قديمة دون ان يصرّح جامعها باسماء اصحابها . وهي بالاجمال حسنة الضبط الّا بعض اغلاط طبيعيّة لحظناها . والمعجم الذي يلي هذه النخب يحتوي على اخصّ المفردات الوارد ذكرها في النصوص السابقة مشروحة باللغة الروسيّة

AL-FAKHRI: Histoire des Dynasties Musulmanes par Ibn at-Ṭiqṭaqà, tradnit. de l'arabe et annoté par Emile Amar. *Paris, E. Leroux*, 1910, pp. 628

ترجمة فرنسويّة لتاريخ الفخري لابن الطقطقي

تاريخ ابن طقطقى المعروف بالفخري من احسن ما كُتب في اخبار الدولتين الامويّة والعبّاسيّة وقد عرف العلماء الاوربيّون فضلهُ منذ نقل عنهُ امام المستشرقين دي ساسي مقاطيع صالحة في منتخباته الشهيرة . ثم نشرهُ الالماني اهلورت (Ahlwardt) بتمامهِ وعاد بعدهُ المرحوم هرتويغ درنبورغ فكرّر طبعهُ مصحّحاً على عدّة نسخ . وهاك اليوم ترجمة هذا الكتاب باللغة الفرنسويّة للاديب اميل أمار الذي قرّب منافعهُ لمحبّي التاريخ الشرقيّ من الفرنج . وقد راجعنا قطعاً من هذه

الترجمة على اصلها العربيّ فتحقّقنا ان المترجم احسن اجمالًا في نقل الكتاب الى الفرنسويّة وفهم غالباً دقائق الفخري على انّنا لحظنا ايضاً في بعض المواقع خللًا في الترجمة ودونك امثلة على ذلك. قالَ ابن طقطقى (في الصفحة ٢٠٢) انَّ « الخيرات كانت دارّة » في عهد بني عبّاس فترجم هكذا Les bonnes œuvres les biens de toute sorte y abon- والصواب jaillissaient d'abondance daient وترجم البيت الآتي (ص ٢٠٣) « ذلّها اظهر التودُّد منها ويها منكم Leur humiliante défaite leur a « (lisez: كجزّ المواسي (كجزّ المواسي fait prendre le masque de l'attachement, mais il garde contre vous une haine bien vivante comme une blessure au rasoir والمعنى الصحيح هو هكذا: La faiblesse (de la dynastie abbasside) l'a forcée à user de douceur, mais (en réalité) elle vous garde une haine profonde comme serait celle d'une lame de rasoir. وكذلك لم يحسن ترجمة بيت السرّاج (ص ٢٠٤): « بني اميَّةَ قد افنيتُ جمعكمُ فكيف لي منكم بالاوّل الماضي ». فقال في ترجمة الشطر الثاني ah ! que n'ai-je pas eu à souffrir de vous au commencement dans le passé والمعنى الصحيح comment pourrais-je (que ne puis-je) atteindre le premier: هو qui a autrefois fondé votre dynastie وغير ذلك ممّا لا يسعنا تعدادهُ. وعلى كل حال اوجب المترجم بعمله علينا شكرهُ لاسيما وقد ذيّل ترجمتهُ بالحواشي والملحوظات المفيدة وختم كتابهُ بفهرس واسع للاعلام

ل. ش

Saglio-Pottier, Dictionnaire des antiquités grecques et romaines, Fasc. 47 (TEXTRINUM-TIBIA), 138. grav., *Hachette*, 1913

الجزء ٤٧ من معجم العاديّات اليونانيّة والرومانيّة

تتوالى اجزاء هذا المعجم النفيس بنظام وهي كلُّها على وتيرة واحدة من الحسن والاتقان ولا يمرّ علينا سنتان حتى يبلغ العمل الى النجاز فيذخر لعلماء فرنسة ذكرًا مخلّدًا. وفي هذا الجزء قد اوفت ابصارنا بعض المواد التي تستحقّ بالخصوص شكر الاختصاصيين منها مادّة (TIBIA) اي الزمّارة والشبّابة للسيوت ويناخ (Th.

(Reinach الذي مع اتقانهِ لتاريخ العاديات يعرف الموسيقى ادقّ المعرفة . ثمّ مادّة (TEXTRINUM) للمسيو شاپو (V. Chapot) تتمّة مقالة باشر بها في القسم السابق عن الانسجة والاقمشة ولهُ ايضاً مادّتان اخريان في البنايات المقبّبة (THOLUS) وفي العروش (THRONUS) شرحهما بالتدقيق والعلم الواسع . ومما اعجبنا ايضاً مادّة عصا الاله باخوس (THYRSUS) للمسيو ا . ج ريناخ (A.-J. Reinach) ومادّة الحمّامات (THERMÆ) للمسيو برنوا (T. Renoit) ومادّة مرسح (THEATRUM) للمسيو نافار (O. Navarre) اتّسع فيها في وصف المراسح اليونانيّة والرومانيّة . ومادّة كنوز ومدافن (THESAURUS) لسورلين دروپني (Sorlin - Dorigny) ومادّة تيساوس احد ملوك اثينا المزعومين (THESEUS) واخيراً مادّة الجمعيّات المذهبيّة (THIASOS) لمسيو لوكريفان (Ch. Lécrivain) وفي هذه المقالة عدّة معلومات عن الجمعيّات الشرقيّة الدينيّة الشائعة في العالم الرومانيّ وما يختصّ بالشيع الشرقية . فترى غنى هذا المعجم وعظم فائدتهِ لكل من يريد ان يقف على علوم الرومان واليونان

د . س

A descriptive List of the Arabic Manuscripts acquired by the Trustees of the British Museum since 1894, compiled by A. G. Ellis and Edw. Edwards, *London*, 1912, pp. 111

وصف المخطوطات العربيّة الداخلة في خزانة المتحف البريطاني منذ سنة ١٨٩٤

كان المستشرق الشهير وليم كورتون (W. Cureton) باشر منذ سنة ١٨٤٦ بطبع قائمة المخطوطات العربية المصونة في المتحف البريطانيّ في لندن فوصفها وصفاً محكماً في اللاتينية ثمّ عاد الى العمل سنة ١٨٥٢ بمساعدة العلّامة شرل ريو (C. Rieu) ثمّ اكمل هذا الوصف الدكتور ريو المذكور سنة ١٨٧١ فكان مجموع ما وصف كلاهما من المخطوطات يبلغ ١٦٥٣ مخطوطاً . ثمّ حصل المتحف المذكور على مخطوطات عربية جديدة فعهد اربابهُ وصفها الى همّة ش . ريو الذي قام بعملهِ احسن قيام سنة ١٨٩٤ فوصف بالانكليزيّة ١٢٩٠ مخطوطاً مدارها في كلّ العلوم العربية . ووصفهُ يُعَدّ آيةً في بابهِ لضبطهِ ودقّتهِ . ومذ ذاك الحين لم يزل المتحف البريطاني يقتني تآليف خطيّة جديدة كنّا نودّ لو يصفها احد العلماء فقام بهذه المهمّة

اثنان من ناظري المتحف المذكور احدهما المستر ا. ج. اليس الذي اجتمعنا به غير مرّة في لندن واختبرنا همّته. وليس وصفهما كاوصاف الدكتورين كورتن وريو في الافادة وانّما هو عجالةٌ ريثما يتولّى العمل احد المستشرقين. ومع هذا فالقائمة كافية لمعرفة اسماء الكتب الجديدة ومؤلّفيها ومواضيعها وسنة كتابتها فضلًا عن ثلاثة فهارس تسهّل التفتيش وتعرّف اسماء المؤلفين. فشكرًا لمن عرّفنا بهذه الكنوز الادبيّة ل. ش

L'Epitre au Fils du Loup par Bahaou'llah. Traduction française par **Hippolyte Dreyfus**, *Paris, H. Champion,* 1913, XVIII, 125

رسالة جاء الله الى ابن الذئب

وما ادراك من هو ابن الذئب؟ هو السيّد المجتهد المعروف بالشيخ باقر الاصفهاني كان يتولّى قبل ثلاثين سنة عمل مدينة اصفهان فتشدّد على بعض المتشيّعين للشيعة البابيّة وقتل منهم قوماً فدعاهُ البابيّون باسم ابن الذئب. ولمّا كانت السنة ١٨٩٠ وجّه اليه منشئ الشيعة ومعبودُها بهاء الله رسالةً كانت آخر كتاباته المعدودة لدى انصاره كوحي الهي ولم يلبث ان مات في عكّا سنة ١٨٩٢. فمن يتصفّح هذا الكتاب يتحقّق ما كان عليه بهاء الله من الإعجاب بنفسه فحدا به الكبر الى ان يدّعي بحلول اللاهوت فيه فيفوه بأقوال تنبئ بوحي الله اليه يضمّنها مواعيد لتبعته وتهديدات لمعانديه واوصافاً لاحواله مع الله الحالّ به. فغاية ما يقال في هذا الكتاب انّ صاحبهُ ضالّ او مضلّ وكلتا الحالتين تدعو الى اسف على من يُبلى بها ل. ش

Kitab al Ṭawâsîn par Aboû ul Moghîth al Ḥosayn ibn Manṣoûr al Ḥallâj, publié par Louis Massignon, *Paris, P. Geuthner,* 1913, pp. 220

كتاب الطواسين لابي المغيث الحسين بن منصور الحلّاج

في سنة ٣٠٩ (٩٢٢ م) قتل الخليفة المقتدر في بغداد تمثيلًا وصلباً وحرقاً احد مشاهير المتصوّفين الشهير بالحلّاج. وقد كان هذا الرجل طاف بلاد الاسلام وهو يتعاطى الزهد ويذهب مذهب الصوفيّة ويكتب ويخطب في الناس وقيل انهُ ادّعى

انَّ الالهيَّة حلَّت فيهِ فتتلمذ لهُ كثيرون حتى خاف الخليفة من فتنتهِ وامر بقتلهِ بعد مناظرتهِ . على انَّ سيرتهُ بقيت بعد موتهِ كلغز لم يفكَّهُ معاصروهُ فمنهم من زكَّاهُ ومنهم من عدَّهُ مستنوياً خدَّاعاً . وقد خلَّف الحلَّاج عدداً عديداً من التآليف التي اخذت معظمها ايدي الضياع . الَّا ان جناب المستشرق الشهير لويس ماسنيون احد اساتذة الجامعة المصريَّة في هذا العام قد وقف لهُ على كتاب يُدعى بالطواسين ورد ذكرهُ في قائمة الفهرست لابي الفرج ابن النديم فاحبَّ نشرهُ وترجمتهُ الى الفرنسويَّة مع بيان صحَّة نسبتهِ الى الحلَّاج واضافة عدَّة شروح اليهِ منقولة عن كتب قديمة فارسيَّة وعربيَّة . والغاية التي توخَّاها جناب الاستاذ بنشر هذا الاثر اماطة القناع عن محيَّا ذاك الرجل الغريب وتعريف كنه تعاليمهِ . واملنا عظيم في انَّهُ يفوز بغايتهِ ويستحقّ بذلك ثناء المغرمين بمعرفة اصحاب البدع وزعماء النحل المذهبيَّة ل . ش

تاريخ الصحافة العربيَّة

بقلم الفيكونت فيليب دي طرازي

الجزء الاوَّل . طبع في المطبعة الاديبيَّة سنة ١٩١٣ (ص ١٦٠)

ليست الصحافة العربيَّة عريقة في القدم وقد اتَّسع مع ذلك نطاقها حتى كادت الصحائف تضيق عن استيعاب تاريخها . وعليهِ قد استحقّ جناب الفيكونت فيليب دي طرَّازي ثناء العموم اذ تفرَّغ لوضع تاريخ قائم بذاتهِ يشمل اخبار هذا الفنّ المستحدث الذي لم يعرفهُ قدماء العرب . وليس العمل بقريب المنال رغماً عن قرب عهد الصحافة فكم من الجرائد والمجلَّات لم يكد علماؤنا يعرفون اسماءها لقلَّة شيوعها او لقصر اعمارها وان عرفوا اسماءها عدُّوها من الاوراق المنسيَّة التي لم ينظروها بامّ العين . فجناب وطنيَّنا الهمام رأى في هذا العمل مأثرة يشكرهُ عليها الباحثون عن تاريخ النهضة الادبيَّة في بلادنا فضلًا عن المستشرقين فلم يدَّخر وسعاً في استحضار كلّ المعلومات لتسطير هذا التاريخ بضبط ودقَّة وجمع نحو ١٢٠٠ صحيفة او مجلَّة ليستعين بها لادراك وطرهِ فاصاب الهدف . وها هوذا قد انجز الجزء الاوَّل من هذا الكتاب الفريد الذي وجدناهُ حافلًا بالفوائد عن مبادئ الصحافة العربيَّة ثمَّ عن رقيّها في طورها الاوَّل اعني من السنة ١٧١٩ حيث انشأ الجنرال بونبارت في مصر « الحوادث اليوميَّة » فعهد انشاءها الى السيِّد اسمعيل بن سعد الخشَّاب الى السنة ١٨٦٩ . ولم

يكتفي جناب المؤلف بذكر كلّ جريدة باسمها مع بيان تاريخ نشأتها ومكان صدورها بل كثيرًا ما اضاف الى ذلك تعريف خطّتها وترجمة اصحابها مع صور اربابها او عاضديها وقد احسن باضافة الفهارس المفيدة في آخر الكتاب ويا ليتهُ افرز للمجلّات والجرائد فهرساً مفردًا فلا تُخلطَ مع الاعلام. وهذه الاعلام عينها الاولى نظمها على ترتيب الاسماء الشائعة دون الاسم الشخصي كنظم جرجس زوين في الزاي وبطرس كرامه في الكاف اذ الكلّ يعرفون زوين وكرامه ولا يعلمون انّ اسم الاوّل جرجس والثاني بطرس . وهذه امور يسهل استدراكها في جزء آخر فنثني على هذا التأليف اطيب الثناء ونتمنّى لهُ رواجاً عظيماً ل. ش

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي

القسم الاوّل . في تاريخ النصرانيّة وقبائلها في عهد الجاهليّة

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ١٥٢)

كان حقّ هذا الكتاب أن يُقدَّم على تأليفنا شعراء النصرانيّة لولا انّ كثرة الاشغال حالت دون رغبتنا في نشرهِ سابقاً . وهذا القسم الاوّل منهُ هو تاريخي بحتٌ جمعنا فيه اقدم شواهد كتّاب السريان واليونان والرومان والعرب عن دخول النصرانيّة في جزيرة العرب وانتشارها في انحائها حتى اقصى اطرافها ونفوذها بين قبائلها في القرون التي وسمها البعض زورًا بعهد الجاهليّة . فلا شكّ انّ الذي يطالع فصول كتابنا المدعومة الى اوثق الاسانيد يأخذهُ العجب من شيوع الدين المسيحيّ في احياء العرب قبل الاسلام . وفي قسم ثانٍ نبيّن ان شاء الله ما خلّفهُ اولئك النصارى من الآثار الباقية حتى زماننا

الرجل الواقف

وهي الرواية الرابعة من روايات البشير تعريب القس مبارك ثابت اللبناني

بيروت المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين سنة ١٩١٣ (ص ٢٤٢)

انّ الروايات لا تجدي في الغالب نفعاً كبيرًا الّا انّها تساعد القرّاء على تقطيع وقتهم في عالم الاوهام وياليتها لا تصوّر لقارئها الاهواء الباطلة وتحرّك في قلبهِ الشواعر السافلة البذيئة كما هو الجاري في كثير منها . وهذه رواية الرجل الواقف

مبنيّة على اشرف عواطف القلب البشريّ التي ينعشها روح الدين وتحييها المروّة الصادقة وتبلّغها الفضيلة اقصى درجة الايثار . فنشكر حضرة المعرّب لهذه الرواية ونحضّ محبيّ القصص على التفكّه بمواضيها ل . ش

صديق العائلة

نهنّي حضرة الآباء الكبوشيين لنشرهم مجلّة صديق العائلة فجاءت مأثرة جديدة تُضاف الى مآثرهم السابقة . وبهذا زاد عدد المجلّات الكاثوليكيّة التي سبق لنا تعدادها في المشرق سنة ١٩١١ (١٤ : ٦٣٨,٧٧) بارك الله في كلّ فاعلي الخير

الروزنامة السليميّة

هو جدول لطيف لسنين القرن العشرين مع جدول الشهور وجزّار لايّام الاسبوع يمكن الاستدلال بها على الايّام التي وقعت فيها الحوادث بعد معرفة السنين والاشهر الجارية فيها . وقد طبعت هذه الجداول طبعاً متقناً بالحرف الاحمر والخطّ البديع بهمّة جبرائيل افندي فارس الخوري الخطّار في بيروت فنثني على ذكائه وحسن عمله

هدايا أُرسلت الى ادارة المشرق

١ رسالة رعائيّة لسيادة القاصد الرسولي على سوريّة الاخ فريديانو جياننيني رئيس اساقفة سرّه بمناسبة الصيام الاربعيني لسنة ١٩١٣ في الرّبين (مطبعتنا الكاثوليكيّة)

٢ منشور عموميّ وجّههُ غبطة السيّد الجليل مار يوسف عمانوئيل الثاني بطريرك بابل على الكلدان الى عموم طائفته بمناسبة دخول السنة الجديدة ١٩١٣ (في الموصل)

٣ منشور سيادة المطران الجليل اثناسيوس صوايا متروبوليت بيروت وجبيل وتوابعهما بندبة طليعة الصوم في الكنيسة وصفاتها (مطبعة القديس بولس في حريصا)

٤ رسالة رعائيّة في واجبات كهنة الرعايا لسيادة المطران بولس عوّاد رئيس اساقفة قبرس (في مطبعتنا الكاثوليكيّة)

٥ تقرير جمعيّة الملجأ الصحّي الدُّرزي في ظهر الباشق قرب قرية رومية لبنان ١٩١١–١٩١٢ (مطبعة الحسناء في بيروت)

٦ التقرير الثالث لجمعيّة اغاثة المسلول وفيه خلاصة اعمالها لسنة ١٩١٢ (المطبعة الادبيّة في بيروت ١٩١٣)

٧ خطاب السيّدة سلمى صائغ كتّاب في حفلة جمعيّة شمس البرّ عن كون ابناء الفقر اكثر تأثيراً في ترقية الهيئة الاجتماعيّة من ابناء الغنى (مطبعة الحسناء)

٨ نبذة مختصرة في الصحف العربيَّة المصوَّرة بقلم اليكونت فيليب دي طرَّازي (المطبعة الكاثوليكيَّة)

٩ الاحتجاج على الاموجاع وهي شكاوي لمالي صاحب الدولة اوخانس قوجبان باشا بواسطة مكتب المحامي سجعان بك عازج (في جونيه لبنان)

١٠ تعليم دين التوحيد المعروف بدين الدروز (ص ٢٢)

---

1 Notes sur le Dialecte arabe de Bagdad par M. Louis Massignon. *Le Caire* 1912, pp. 24

2 Dr. P. Basilio Cattan : Cenni intorno alla Vita di Mgr Neofito Nasri Vescovo di Saidnaia (*Roma*, 1912, pp. 33)

3 Faculté de Médecine de Beyrouth: Les nouveaux Bâtiments. Construction, Inauguration, *Beyrouth*, *Impr. Catholique*. 1913 pp. 26

4 Bulletin Annuel de l'Association amicale des Anciens élèves de l'Univ. St-Joseph, XII° année, *ibid.* 1912, pp. 114

شذرات

مريم العذراء ازاء الصليب للاديب سليم أبي رزق احد طلبة مدرستنا الكليَّة :

وقفت مريمُ تلقـاء الصليبْ مع رسولٍ شاحبِ اللونِ كئيبْ
فبكتْ والقلبُ منها في وجيبْ وعلتها صفرةُ الموتِ الرهيبْ
إذ رأت شمسَ ابنها عندَ المغيبْ
أي بنيَّ الواهبَ الناسَ الحياةْ كيف ترضى الموتَ صلباً كالجُناةْ
أفلا تسمع تعييرَ العُداةْ أوَ لا تُبصر هزءَ الشامتاتْ
نافذًا كالسهمِ في قلبي الكئيبْ
وا حبيبَ القلبِ ما هذي الجروحْ نكأت في مهجتي انكا القروحْ
ما الذي شوَّهَ ذا الوجه الصبيحْ ليتني غُيِّبتُ في طيِّ الضريحْ
قبلَ أن اشهدَ ذا اليومَ المشيبْ
قد رويتُ الارضَ من سيلِ الدموعْ فعلتْ وجهَ السما آيُ الخشوعْ

كيف لا تهدُّ اركانُ الربوعْ وحسامُ الحزنِ قد قدَّ الضلوعْ
واضاعَ الصبرَ من كلِ القلوبْ

كلّموا ربّي باشواكِ القتادْ واتقبوا كفّيه يا شرَّ العبادْ
واطعنوا جنبَيْه بالسُمر الحدادْ وأذيقوهُ تباريحَ الجهادْ
انه القهّارُ في الدينِ الرهيبْ

ميلَ صبري حين قاسى ولدي ألماً يشفي غليلَ الحُسّدِ
ليتَ صرفَ الدهرِ وارى جسدي قبلَ أن أبصرَ هولَ المشهدِ
بينَ قومٍ ليسَ لي فيهم نسيبْ

خذلتني في بلائي السيداتْ وجنتني في مصابي النادباتْ
ويحَ قلبي من سهامِ النائباتْ آهِ ما اشقى حياةَ الأمهاتْ
لم يَدُرْ في خلدي هذا النصيبْ

يا ملاكَ الربِ نفّسْ كربتي يا رسولَ اللهِ خفّفْ لوعتي
فلقد أخفيتَ عني محنتي عندما بشّرتني في غرفتي
فدهاني الخطبُ في يومٍ عصيبْ

لم تُخبّرني بكاساتِ الحمامْ كي أُعدَّ النفسَ للموتِ الزؤامْ
ثمَّ ناحت واشتكت وقعَ السهامْ واكتسى الجوُّ بجلبابِ الظلامْ
وإله الخلقِ في حزنٍ يُذيبْ

صاحَ: يا قومُ اذكروا صنعَ الجميلْ وانقعوا بالماءِ من قلبي الغليلْ
وأحسبوني بينكم كابنِ السبيلْ فلكَمْ ابرأتُ فيكم من عليلْ
ولكَمْ فرّجتُ عنكم من خطوبْ

ثمَّ حانت نظرةٌ منه إلى ذلكَ التلميذِ يبكي مُعْولا
قالَ: لا أترك احبابي الأولى ذقتُ من اجلهم جهدَ البلى
كاليتامى بين أنيابِ الكروبْ

ثمَّ نادى الربُّ: يوحنا الوديعْ هاكَ أُمي انها امُّ الجميعْ
ثمَّ ناجى أمَّهُ فجرى الوجيعْ: هذا يوحنا ابنكِ كفكفي الدموعْ
وتبنّى الناسُ في شخصِ الحبيبْ

مـذ بغى ماء لإرواء الظما جرّعوه الخـلّ ممزوجاً بمـا
قالَ : لا أشربُ هذا العلقما ثمّ احنى الرأس طوعاً فارتمى
واغاضَ الروحَ من فوقِ الصليب

يا له من مشهدٍ يدمي العيونْ ويفيض السيلَ من غرب الجفونْ
إن ربَّ المجدِ قد ذاقَ المنونْ بعد أن قاسى تباريحَ الشجونْ
من قُساةٍ أمرُهُ فيهم عجيبْ

رأتِ العذراء اشباحَ الردى في مُحيّاً ربّهـا بينَ العدى
رُزئت بفقدها نورَ الهدى ثمّ قالت ليتني متُّ فِدَى
خالقي وابني ومولايَ الحبيبْ

حينما ألقوهُ في وسطِ الضريحْ وقفتْ ترثي وتشكو وتنوحْ
من يداوي قلبيَ المضنى الجريحْ إن قلبـاً ثُخنت فيه الجروحْ
ما له بينَ البرايا من طبيبْ

إن في مهجتهـا الحزنُ طمى وهمى من عينها الدمعُ دما
فترى الـلوى لهـا والبَلما أن تذوقَ الموتَ ظلماً مثلما
ذاقه الغادي على عودِ الصليبْ

أمّ ربي انتِ نبراس الأسى فادفعي بالصبرِ تيّارَ الأسى
فدمـاء الربِ تحيي الأنفسا وهي تجلو عن حمانا الابؤسا
وتنجي الخلقَ من حرِّ اللهيبْ

كرامات لقداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر قداسة البابا الحالي لا يسوس الكنيسة فقط بحكمة غريبة لكنّهُ قـد استحقّ ايضاً ان ينال من رأس الكنيسة غـير المنظور ان يجترح معجزات باهرة تأتينا اوثق المجلّات بتفاصيلها: منها خمس كرامات جرت في العام الاخـير كنّا وددنا لو سمح لنا المكان بروايتها المفصّلة نخصّ منها بالذكر شفاء شابّ اصمّ يدعى پيار دي يومند عمرهُ ٢١ سنة كان فقد السمع تماماً بعد خرق صماخيهِ قبـل سنتين ففي ١٠ من شهر ايلول المنصرم اعاد لهُ البابا سمعهُ بمنحه بركتهِ وتأكيد امّ المصاب انّ ابنها واثق بشفائهِ على يـد الحبر الاعظم فكان لهُ على حسب ايمانهِ. وكذلك بارك الحبر الاعظم احد السادة اليونان

الكاثوليك القيم في رومية الذي كان اعتراهُ فالجٌ في جنبهِ الشمالي فشفي من ساعتهِ. وشفى ايضاً راهبة افرنسيسيَّة كان يُنتظر وفاتُها من ساعة الى أُخرى لتدرُّن مزمن في احشائها فحملوها من فيرنسة الى رومية على آخر رَمَق فما دخلت الى مخدع الحبر الاعظم وقالت بركتهُ حتى خرجت وحدها سالمةً ونزلت الدرج دون مساعد وهي اليوم تثني على طبيبها علانيةً — والحبر الاعظم اذا استغرب احدٌ صدور هذه الاعمال على يدهِ تبرَّأ منها ونسبها الى سلطان المفاتيح البطرسيَّة

﴿ هيجان جديد في جرمانيا ضدّ الجزويت ﴾ كتب السيد هراويني تحت هذا العنوان نبذةً زعم فيها سنداً الى المصادر الفريَّة « بانَّ في جرمانيا حالاً هيجاناً عظيماً ضدّ الجزويت . وانهُ قد انعقد مؤخرًا ما ينيف عشرين اجتماعاً في كثير من المدن الكبرى اصدرت قرارات إقفال جميع ادیرة الجزويت في جميع انحاء جرمانيا » . وهذا الخبر كمثل بقيَّة الاخبار التي ينقلها سيادة المطران هراويني عن الكثلكة والجزويت خالٍ من الصحَّة لانَّ كلًّا يعرف انَّ اليسوعيين لا دير لهم في جرمانيا منذ طردهم بسمرك ظلماً سنة ١٨٧٠ . اما الاجتماعات التي ذكرها سيادتهُ فهي للبروتستانت ومعلوم انَّ البروتستانت لا يحبُّون اليسوعيين الذين يقاومون تعاليمهم الباطلة . وما كان الاجدر بهِ ان يذكر لا عشرين اجتماعاً بل مئة للكاثوليك يطلبون فيها رجوع اليسوعيين الى جرمانيا . فهذا دليل جديد على انصاف السيد هراويني هداهُ الله !

﴿ سؤال لمجلَّة الهلال ﴾ روى صاحب الهلال في عددهِ السادس (مارس ١٩١٣ ص ٣٢٤) انَّ « في البطركخانة المارونيَّة رسالةً من لويس التاسع ملك فرنسا في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد يوصي فيها خيراً بالموارنة ويعدُّهم من الفرنساويين » الى ان يقول مخاطباً البطريرك « نعاهدكم نحن ومن يخلفنا على عرش فرنسة ان نحميكم انتم وجميع شعبكم كما نحمي الفرنساويين ونسعى دائماً في سبيل سعادتكم » . فنطلب الى كاتب هذه الاسطر ان يزيدنا علماً في ما روى وهل يعرف الرسالة ؟ ومن اعلمهُ انَّها في البطركخانة المارونيَّة ؟ وان كانت في مكتبة اخرى أيمكنهُ ان يذكر لنا نصَّها الاصليّ الذي طالما بحثنا عنهُ وتشوَّقنا الى معرفة حرفهِ الواحد فاذا دلَّنا عليهِ نشرنا رسمهُ بالفوتغراف في مجلَّتنا لانَّهُ من اعظم الآثار

﴿ عقد الزواج عند بعض الطوائف المسيحيَّة ﴾ هو عنوان مقالة لصاحبة فتاة الشرق وعجرتها لبيبة هاشم تطاولت فيه على احد اسرار كنيستنا الكاثوليكيَّة وهي لا تدرك من امره شيئاً . فدونك ما كتبت واحكم عن طول باعها في شرح الاسفار المقدَّسة قالت:

« دُعيت في هذه الايَّام لحفلة زفاف فاستلفت افكاري منها قول الكاهن للعروس: «اخضعي لرجلك كما تخضع الكنيسة للمسيح فانَّ الرجل رأس المرأة كما انَّ المسيح رأس الكنيسة » وفي عبارة اخرى: ادعيه لك سيِّدًا . فكان لهاتهِ الكلمات تأثير عظيم على سمعي عقبهُ ضحكة هزءٍ واستخفاف وتلاها زفرة اسف واشفاق مني . ذلك لطمي انَّ مثل هذه الآيات المناقضة للطبع وللعقل لا يكون لها اقلّ تأثير في حياة الازواج » . . . (الى ان قالت) « انَّ تلك العبارات ياطم بها الكاهن قلب المرأة الرقيق » . . . (ثمَّ اتت بهذا الاعتراض) « وربَّ معترض من رجال الدين يقول انَّ ذلك من جملة القوانين الكنسيَّة التي نظمها الرسل بالهام من الله فلا يمكن تغييرها وعلى ذلك اقول انَّ الله سبحانهُ وتعالى الهم الرسل الى ترتيب تلك القوانين بما يلائم حالة البشر وتأخرهم في ذلك العهد ولكنهُ لم يأمرهم بالمثابرة عليها في الازمنة المستقبلة لعلمهِ بما سوف يحدث من التغيير الذي يدعو الى اصلاح تلك الشرائع بدليل قولهِ لهم: كلّ ما تربطونهُ على الارض يكون مربوطاً في السماء وكلّ ما تحلُّونهُ على الارض يكون محلولاً في السماء . . . »

قرأنا هذه النبذة فقلنا ما احراها ان تهذَّب فينا ايضاً « ضحكة هزءٍ واستخفاف تتلوها زفرة اسف واشفاق » . وان قيل : انَّ هزءَ كاهن واستخفافهُ بالجنس اللطيف مثافٍ للادب قلنا : انَّ هزءَ امرأة واستخفافها بكلام الله وصلوات الكنيسة . وهي لم تدرك معناها بل نزعتها عن قرائنها لأنفى من الادب فضلاً عن كونهِ نهاية في الكفر فكيف تزعمين ايَّتها السيدة ان في هذه اقوال الكنيسة استعباداً للمرأة فاين شممتِ من اقوالها كلمة هوان وتذليل ؟ أترين ان خضوع المرأة لزوجها استعباد فكنَّا اذن عبيد اذا خضعنا لسلطة شرعيَّة . زه ازه ! ألا تعلمين انَّ العائلة اوَّل المجتمعات الانسانيَّة وانَّهُ لا يمكن ان يكون في ايّ مجتمع كان رأسان فان كان في العائلة حقٌّ للرئاسة فالى من يعود ؟ ألى المرأة الضعيفة المحتاجة الى سند ومدافع عن حرمتها او الى رجلها وصاحب بجدتها ؟ وكيف ظننتِ انَّ خضوع المرأة لزوجها يمنع كونها شريكة لهُ في حياتهِ تساويهِ منزلةً في الشرف والآداب والاخلاق ؟ ألا يكفي للمرأة ان تكون في العائلة بمثابة القلب بينما يكون زوجها بمثابة الرأس وكما لا يستغني الرأس عن القلب فلا يستطيع القلب ان يحيا بلا رأس . وان كان هذا الرأس

مثالة المسيح افتتذلل المرأة بطاعتها لزوجها وهي تعلم انَّ الرسول يأمر زوجها بان يحبَّها ايضاً كما احبَّ المسيح الكنيسة وبذل نفسهُ دونها. فايم الحقّ كان يجب على كل مرأة تعقل ان تجثو شاكرة لفضل الكنيسة التي وحدها شرَّفت جنسها واعادتهُ الى مقامهِ الرفيع. فهما صنعت المرأة لا مناص لها الَّا ان تكون خاضعةً لزوجها كما ورد في بدء سفر التكوين. فالرجاء منكِ أيَّتها السيِّدة اذا احببتِ الكتابة ان لا تتجاوزي طوركِ فاكتبي عن الازياء والمودات ما شئتِ ولكن لا تخبطي في ما ليس هو من شأنك لتعرّفي ارباب الدين ما يجوز وما لا يجوز وترشديهم الى شرح الكتب المقدّسة كأنَّهم هم ولاة الدين يربطون ويحلُّون دون تمييز ودون قواعد ثابتة لا يستطيع بشر تغييرها

﴿ منشور الى عموم ابناء الوطن ﴾ هو منشور لسيادة جراسيموس مسرَّة مطران بيروت على الروم الارثدكس يدعو فيها المحسنين من كلّ الطوائف الى مساعدة عيال الجنود الابطال الذين قُتلوا في ساحة الحرب البلقانيَّة. وهي مرَّة ثانية استحقّ سيادتهُ شكر العموم لاريحيَّتهِ في تخفيف بلايا الاهلين الذين ضحّوا اولادهم في سبيل الوطن. ويا ليت سيادتهُ يسرد لنا اسماء اولئك الابطال ليبقى ذكرهم مكتوباً في صفائح القلوب. واما نحن من المطران رفائيل هواويني ان لا ينسب عمل سيادة رصيفهِ الى مساعدة الهلال على الصليب كما كتب آخرًا عن قداسة الحبر الاعظم (راجع الصفحة ٢٣٣)

﴿ تعدُّد الآلهة : جواب اوَّل على المقتطف ﴾ وقف الاديب انيس الخوري من تلامذة كليَّتنا على ما كتبهُ المقتطف في تعدُّد الآلهة فكتب الينا ما يأتي :

« انني لستُ دكتورًا في الفلسفة كصاحبَي المقتطف ولكن اخذني العجب مما كتباهُ في مجلَّتهما في هذا العدد ونحن نكتفي اليوم ان نلقي عليهما الاسئلة الآتية نرجوهما ان يجيبا عليها. اوَّلاً أيقرَّان بان العقل يستطيع ان يرقى بنوره الطبيعيّ الى معرفة وجود الله او لا ؟ ٢. فان اجابا بالايجاب فسألهما أهذا الاله الذي يؤكّد العقل وجودهُ ألا يقرّ ايضاً بانَّهُ واجب الوجوب قائم بذاتهِ كامل الصفات غير متناهٍ العلَّة الاولى لكلّ الموجودات حرّ بعمله قادر على كلّ شيء ؟ فان انكرا افحمهما التاريخ واقوال قدماء الفلاسفة. وان قالا بالايجاب فلا بدَّ ايضاً ان يسلّما بأنَّ العقل يثبت وحدانيَّة الله كما يثبت الصفات المذكورة لانَّ هذه الصفات لا يمكنها ان تقوم بتعدد الآلهيَّة كما يظهر لكلّ من يتعقل. اما المثل الذي ضربهُ صاحبا المقتطف

عن وجود جوهرين متماثلين من الذهب او الفضّة فهو اعتراض صبيانيّ تتعجّب كيف عرض لذكر الكاتبين كأنهُ يمكن المقابلة بين جواهر مادّية متناهية والجوهر الروحاني الغير المتناهي الجامع لكل كمال »

أسئلة واجوبة

س سأل الاديب توما افندي كيّال عن بيتين رويناهما (في المشرق ١٥ : ٥٤٧) عن ابن ابن خُرَيم في خمرة التقديس فطلب في اي جزء من الاغاني وردا

بيتان لأبين بن خُرَيم

ج وردا في الاغاني (ج ١٦ ص ٤٥) وفي معجم البلدان (٢ : ٥١)

س وكذلك سأل من مالطة حضرة الخوري جرجس البلاني من هو ناظم الابيات الآتية التي وُجدت على صفيحة قبر في متحف تلك الجزيرة بخطّ كوفي تاريخ كتابتها سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) :

أنظر لنفسك هل في الارض من باقي ... او دافع الموت او للموت من راقي
الموت اخرجني قسرًا (قهرًا) فيا اسفي ... لم تنجني منهُ اثوابي اغلاقي (١
وصرت مِنهُنَّ (٢ بما قدَّمتُ من عملٍ ... عصىً عليَّ وما خلّفتهُ باقي
يا من رأى القبر اني قد بنيت (٣ بهِ ... والترب غير اجفاني وآماقي
في مضجعي ومقامي في البلا عبرٌ ... وفي نشوري اذا ما جاء خلّاقي

ج لم نعرف قائل هذه الابيات ومثلها كثير على القبور لا يعرف اصحابها فنشكر سلفاً من امكنهُ ان يفيدنا شيئاً عن ناظمها والبيت الثالث مكسور

س سأل احد تلامذتنا الروم ما اصل السلالة الروسيّة المعروفة برومانوف ومتى ضبطت ازمّة التدبير في تلك الدولة

سلالة رومانوف

ج جدّها الاعلى مهاجر بروسيانيّ اسمهُ اندراوس كوبيلا دخل روسيّة في القرن الخامس عشر . ولم يزل ابناؤهُ وحفدادهُ يتقلّبون في خدمة الدولة حتى جلس الواحد منهم المسمّى فيدور نيكيتيش على كرسي موسكو فسعى بجعل السلطة في ايدي ابن كان ولد له قبل دخولهِ في سلك الرهبان اسمهُ رومانوف وتمّ ذلك سنة ١٦١٣ واليهِ ينتسب قياصرة روسيّة . وكانت السنة الحاليّة تذكار المئة الثالثة لهذا الواقع المهمّ فأُقيمت الحفلات في روسيّة بسببهِ ل . ش

١) اصلح : اغلاقي ٢) الصواب : رهنًا ٣) الصواب : ثويتُ